جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
فى منتصف كل شهر عربى

العدد (١٤٢)

النبى الخاتم ﷺ

أ.د/عبد الغفار حامد هلال

الجزء الثانى

القاهرة

ربيع الآخر ١٤٢٨ هـ - مايو ٢٠٠٧ م

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
في منتصف كل شهر عربي

النبي الخاتم ﷺ

أ . د . عبد الغفار حامد هلال

الجزء الثاني

العدد [١١٢]

القاهرة

ربيع الآخر ١٤٢٨هـ - مايو ٢٠٠٧م


hamed khatab

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ..

فهذا هو الجزء الثاني من كتابنا (النبي الخاتم) ، وقد عرضنا في الجزء الأول منه – المشتمل على بابين – الباب الأول (شمائله ﷺ وصفاته وأخلاقه)، والباب الثاني (منهجه ﷺ في الدعوة إلى الله) وعرضنا من خلال الباب بعض منهج رسول الله ﷺ التي تقوم على أساس المسالمة واليسر ومنهج الدعوة وخطتها

وفي هذا الجزء ، نذكر لك أيها القارئ الكريم بقية أبواب الكتاب وهما ، الباب الثالث والباب الرابع

وفي الباب الثالث (خصائصه ﷺ) نجد الحديث وافيا عن معجزات خاتم الأنبياء ﷺ عن عصمته وعن شفاعته العامة ، وعن سلوكه ﷺ مع زوجاته .

والباب الرابع فيه حديثنا عن سنته ﷺ ، ويتناول مكانة السنة وأصحابها وحجيتها والرد على منكريها ، ومنزلة السنة من القرآن والتشريع ، ومن ثم يعرض بعض مصطلحات الحديث النبوي التي تؤكد سلامة الأداء لحديث سيد المرسلين ﷺ وأنها جديرة بالقبول والاهتمام

ولعل قارئ هذا الكتاب يعرف كثيرا من سيرة رسول الله ﷺ وينشرها في الناس شرقا وغربا لتوضح لهم الحقائق عن رسول الإنسانية محمد ﷺ ، وأنه جاء بالحق من ربه ليبشر وبالدعوة الحسنة والرفق والمسامحة لا بالعنف ، ولا بغيره مما يهدد الناس ، لعل هذا الكتاب يصل إلى أيدي الناس في كل أقطار العالم ليعرفوا السيرة العطرة لخاتم النبيين والمرسلين ، وليؤمنوا به وأنه المكمل لجميع الرسل الذين أرسلهم الله إلى العالم .

والله الهادي إلى سواء السبيل .

المؤلف

الباب الثالث

خصائصه ﷺ



معجزات خاتم الأنبياء

يقتضي البحث عن معجزات النبي ﷺ أن نعود إلى بداية الدعوة الإسلامية وكيف واجهها كفار مكة وحملوا راية الإنكار [illegible] الله تعالى على يد نبيه محمد ﷺ من خوارق العادات ولكن [illegible] واستكبارا في الأرض بغير الحق

لقد أنعم الله تعالى على أهل مكة من أرزاق [illegible] ما جعل حياتهم تقوم على [illegible] في [illegible] والاستقرار [illegible] حول [illegible] مرفهة من الحرب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف (1).

---

(1) [illegible]

على هذا محكة أن الحياة دائمة وأن مهمتها [illegible] منهم يتطلعون
في نعيمها ولسانهم [illegible] والأشر [illegible]
تكل ما في الحياة الدنيا . لأن العمر مهما طال فهو قصير وطريق [illegible]
لا محالة والقيامة حق لا ريب فيها ونعيم الدنيا بالنسبة لما يجري في
الآخرة قليل ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا
وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾[1] .

أخبر الله تعالى عباده رسوله محمد ﷺ كثيرا من المعجزات
ومنها نبع الماء من بين أصابعه الشريفة ، قال الأعمش وغيره عن إبراهيم
عن علقمة عن عبد الله قال : بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ حضرت
الصلاة وليس معنا ماء إلا يسير فدعا النبي بماء فصبه في صحفة ووضع
كفه فيه فجعل الماء يتفجر من بين أصابعه فأقبل الناس فتوضؤوا وشربوا ، قال
الأعمش : فحدثت به سالم بن أبي الجعد فقال : حدثنيه جابر ، فقلت
لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : خمس عشرة مئة [أخرجه البخاري] .

ومنها حنين الجذع [illegible] عن عبد الله [illegible] رسول الله ﷺ
كان [illegible]
[illegible]
[illegible] [2].

---

[1] الرعد : [illegible]
[2] أخرجه البخاري [illegible]

ومنها تسبيح الحصى ، عن أبي ذر قال : لا أذكر عثمان إلا بخير بعد شيء رأيته : كنت رجلاً أتتبع خلوات النبي ﷺ فرأيته وحده فجلست فجاء أبو بكر فسلم وجلس ، ثم جاء عمر ثم عثمان ، وبين يدي النبي ﷺ سبع حصيات ، فأخذهن فوضعهن في كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن ، ثم أخذهن فوضعهن في يد أبي بكر فسبحن، ثم وضعهن فخرسن ، ثم وضعهن في يد عمر فسبحن ، ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن ، ثم وضعهن فخرسن ، فقال رسول الله ﷺ [هذه خلافة النبوة].

ومنها تسليم الحجر والشجر عليه ﷺ ، عن عبد الله بن أبي سفيان عن العلاء بن جارية الثقفي عن بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسمع منه ، وعن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ [إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث] أخرجه مسلم .

وعن أنس بن مالك قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ وهو خارج من مكة قد خضبه أهل مكة بالدماء ، فقال مالك ؟ فقال : [خضبني هؤلاء بالدماء وفعلوا وفعلوا]، قال: تريد أن أريك آية ؟ قال : [نعم] ، فقال : ادع تلك الشجرة ، فدعاها رسول الله ﷺ فجاءت تخط الأرض حتى قامت بين يديه ، فقال : مرها فلترجع إلى مكانها ، قال : [ارجعي إلى مكانك] ، فرجعت ، فقال رسول الله ﷺ : حسبي . وهذا حديث صحيح .

ومنها انشقاق القمر، فعن أنس: أن أهل مكة سألوا النبي ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر، وفي رواية (فانشق فرقتين مرتين) وعن ابن مسعود قال: رأيت القمر منشقاً شقتين بمكة قبل أن يخرج النبي ﷺ شقة على أبي قبيس، وشقة على السويداء: فقالوا سحر القمر، وعن أبي معمر عن عبد الله قال: انشق القمر ونحن مع رسول الله ﷺ فصارت فلقة منه وراء الجبل وفلقة دونه فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا، وأخرجه البخاري ومسلم من حديث شعبة عن الأعمش. وعن عبد الله قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة ـ يعنون النبي كانوا يسمون النبي ابن أبي كبشة وهو رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان ـ وقال تعالى: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر * وكذبوا واتبعوا أهواءهم ﴾ [1].

ومع هذه المعجزات ـ وغيرها ـ أنكر كفار مكة رسالته ﷺ وطلبوا منه أن يأتيهم بمعجزة ولكنهم لم يروا تلك المعجزات الكثيرة الواضحة تحت سمعهم وبصرهم، بعنادهم واستكبارهم فعميت لهم عن الإيمان أبصارهم عن الآيات الحق، وختم على قلوبهم فأعمى أبصارهم الله وجعلهم لا يهتدون. لكنهم يطلبون الآيات الخارقة أعينهم هذه الآيات الساطعات؟ إنهم يطلبون معجزات الحسية كما قالوا له ـ كما حكى القرآن الكريم: ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا * أو يكون لك بيت من

(1) القمر: ١ ـ ٢.

زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾[1]

وأكبر معجزة وأعظمها على مر العصور هو القرآن الكريم هذا الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾[2] وهو معجزة من نواح كثيرة، كالإعجاز بالفصاحة والبلاغة والأحكام الشرعية [illegible] والإعجاز العلمي الذي كشف عنه العلم الحديث [illegible] من [illegible] لم يكن علينا [illegible] [illegible] ﴿ إن هذا إلا سحر يؤثر ﴾[3]

عن علي كرم الله وجهه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ألا إنها ستكون فتن، [illegible] [illegible] وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته

---

(1) الإسراء: ٩٠ - ٩٣

(2) فصلت: ٤٢

(3) المدثر: ٢٤

أن قالوا : ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا﴾ [1]، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم] [2].

وقال ابن الجزري : إن " أولى العلوم ذكراً وأحقها فكراً وأكثرها منزلـــة وقدراً وأعظمها أجراً وأشرفها فكراً كلام من خلق من الماء بشراً فجعلـــه نســباً وصـهراً . فهو العلم الذي لا يخشى معه جهالة ولا يخشى به ضـلالة " [3] .

وقال ﷺ [إن لله أهلين من الناس . قيل : يا رسول الله من هـــم ؟ قال : هم أهل القرآن أهل الله وخاصته] [4] .

والإسراء والمعراج كان محكاً لمعرفة فكر كفار مكة فوقفوا مذهولين ينكرون حدوثه دون مناقشة أو تعقل ، ولو كانت الهداية قد طرقت أبـــواب قلوبهم لتسموا على الباطل والجهل بقدرة الخالق القادر على دعوة نبيه إلـــى الملأ الأعلى . ولكن الذي يقبل الحق وينصـاع إليه هم الذين رجعوا إلى الله وأنابوا وأدركوا بهداية الله لهم صدق رسالة محمد ﷺ واعتقـــدوا اعتقـــاداً صحيحاً بنزول القرآن من عند الله وأنه المعجزة الربانية التي عجز عـــن الإتيان بجزء منها أحد منهم وتتحدى غيرهم إلى قيام الساعة .

ومن يؤمن بالقرآن وما جاء به من عند الله ويطبقه ويتدبر مـــا فيـــه يحصل له بهذا الأمن والأمان والطمأنينة وراحة البال والاســـتقرار ويحيـــا حياة السعادة ، فهؤلاء المؤمنون لا يقلقهم ولا يزعجهم شيء ولا يخافون من

---

(1) الجن : 1 .

(2) جامع الترمذي : ٥ / ٢١٠ .

(3) التمهيد في علم التجويد ١٠ .

(4) سنن الدارمي ٢/٤٣٣

التزم أو المصحف أو الشفاء في حياتهم ، أما المعرضون عن القرآن غير الملتزمين به فهم في هم وغم شامل يجعلهم ينكرون الواضح من الأدلة والبراهين ولو رأوها رأي العين .

والمؤمنون يعتقدون بأن الرسول ﷺ رأى ربه عياناً ليلة الإسراء والمعراج وقد أخبر ﷺ حين سئل : كيف رأيت ربك ؟ فقال : [نور أنى أراه ليس كمثله شيء] ولكن أهل الباطل والميل ممن طمست قلوبهم ، وعميت أبصارهم يتشككون في ذلك دون حد للمشكك ، على حين يجزم أهل الإيمان بصدقه فيما أخبر به ، فأبو بكر الصديق – رضي الله عنه – حين قيل له : إن صاحبك يدعي أنه أسري به ليلة إلى بيت المقدس ثم عرج به من هناك إلى السماوات العلا ورأى ربه ، فماذا تقول ؟ قال لهم : إن كان قال ذلك فقد صدق فيما أصدقه في خبر السماء ، ولذلك سمي الصديق.

وسيرى المؤمنون ربهم يوم القيامة كما قال ﷺ : [إنكم لترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر] وفسر بعض العلماء : الزيادة في قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)[1] ، برؤية الله ، وفي وجوههم تشرق بالأنوار الإلهية كما قال تعالى : (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة)[2] ، والقتر هو الغبار والظلام فلا يعلو وجوههم منه شيء برؤية ربهم على حين أن الكفار محجوبون عن رؤية ربهم ، ولذلك تكون وجوههم مسودة كأن عليها قطعاً من الظلام الذي يكسوها كالليل: (والذين كسبوا السيئات

---

(1) يونس ٢٦

(2) يونس ٢٦

جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما ﴾[1] والمتقون من أهل الإحسان جزاؤهم الجنة وما فيها من النعيم لقوله: ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ﴾[2]

---

[1] يونس ٢٧

[2] الرعد ٢٩

الإسراء والمعراج

دعوة من المولى الجليل لرسول الإنسانية

إن الإسراء والمعراج لمنحة للمصطفى ﷺ لم يؤتها [illegible] الإلهي لمخلوق غير محمد ﷺ لما له من منزلة لم يصل إليها أو يبلغها أحد على الإطلاق.

قال الله عز وجل: ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾[2].

ولذا كانت تلك الرحلة رحلة تحمل أعظم التوجيه لما يصلح البشرية ويسعدها.

لقد كان للنبي ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج [illegible]

[1] الإسراء: 1.

[2] النجم: 5 – 11.

مكة – وقال ﷺ – فيما رواه البخاري – [شُقّ صدري وأُتي بطست مملوء حكمة وإيمانًا فغسل ثم حُشي] .

ثم ركب البراق ووصل إلى بيت المقدس – بفلسطين – وصلى فيه بالأنبياء جميعًا ، ثم صعد إلى السماوات العلا في رحلة سماوية عجيبة بالخالق جل وعلا ، ورأى هذا الملكوت العظيم وفرضت الصلوات الخمس في اليوم والليلة وهي كخمسين صلاة في الثواب .

ورأى الرسول ﷺ الجنة ودخلها وتأمل فيها ووصف بعض أشجارها وأوراقها وثمارها (رأى سدرة المنتهى أوراقها كآذان الفيلة وثمارها كقلال هجر) وهي مثل الجرة التي نعرفها .

ولقد رأى الرسول ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج قومًا يزرعون ويحصدون وكلما حصدوا عاد الزرع كما كان ، فسأل جبريل عنهم فقيل له : هؤلاء المجاهدون ، والجهاد كما يكون في الحرب يكون في العمل والكسب ورأى قومًا يضربون رؤوسهم بحجارة من الصخور كلما ضربت عادت فسأل عنهم فقيل له : هؤلاء هم المتثاقلون عن الصلاة وما أكثر المتثاقلين عن أداء الصلاة .

ورأى كذلك أقوامًا على عوراتهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام تبدو أجسامهم عارية إلا من قليل يستر العورة ، وهم كالأنعام التي ترعى ، وهم مانعو الزكاة والصدقة .

ولما رجع ﷺ إلى مكة أخبر القوم برحلته الأرضية السماوية وعرفته فصدقه أهل الإيمان والتقوى وطلبت منه قريش أدلة على رحلته حيث

المقدس وصلاته فيه فأحضر الله تعالى البيت أمامه فأخذ يصفه لهم وصفًا دقيقًا وقد ورد في البخاري الحديث الدال على ذلك.

وهذه الرحلة تدل على اصطفاء الله تعالى لرسوله الكريم وإيثاره برؤية مولاه دون غيره من سائر الأنبياء وقد طلب موسى – عليه السلام – أن يرى الله سبحانه فلم يتحقق له كما قال تعالى: ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقًا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ﴾ (1).

وفي هذه الرحلة المباركة – إلى السماوات العلا – يقول الحق سبحانه: ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يرى * ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ (2).

وقلت في ذلك:

قد ركبت البراق تخترق الحجب

وتطوى به هناك الفضاء

---

(1) الأعراف: 143.

(2) النجم: 9-18.

ونرى ملكاً يمسحون نحيبا

ونرى ملكاً هو يبدو أسواء

وأنانا كمثل منهم مروح

حاملات جريمة نكـــراء

يأكلون القضاء بيتاً فبيتاً

ويعقدون ما يطيب غـداء

ولقوم حضارة من سحر

جففت من زوارهم أشلاء

ولشر شبعوا منهم زهواء

ووجوه أخرى تحت سوداء

* * *

وعلى الرحيل كنت فيهم أمانة

مصلاة ـ في القفر ـ قاحب زكاة

تركوا رحلة وولوا فرادا

لرسوب ـ سكرهم ـ قد جاء

وحفيف يحمل ترحاله في النسيج

تطلق استغاثة بــه ...

والذي في مرفأه العروج

شهداء رفعة وارتـــــقاء

وتراءى بين الحقائق صوت

باحث في أعلى الفضـــاء سواء

يفتح الباب بعد باب وشقي

ساقه الرسل خلفه سعداء

وتغنوا مرحبا بأحمد حبيب

وتآخوا الصحب والأنبياء

ثم نادى جبريل هذا مقامي

لو تجاوزت احترقت هباء

* * *

هذا نحو عنده رشي [illegible]

فرأى نور [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] المطلق حجابا

ليس فيه كثافة لا سواء

[illegible] ما رأى معنى شعاعا

[illegible] السلم [illegible] [illegible]

[illegible] أعجب [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] طرفه وما زاغ عنها

[illegible] [illegible] [illegible] حياء

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] لي [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

حقيقة الإسراء والمعراج والتصديق بهما

س : لماذا قال الله تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً ﴾ [1]. ولم يقل بنبيه أو برسوله مثلاً ؟ وهل كان الإسراء بالروح أو بالجسد، أو بهما معاً ؟ .

ج : المراد بالعبد هو النبي ﷺ وإنما لم يقل بنبيه أو برسوله إشارة إلى أنه مع هذا الإكرام الذي أكرمه الله تعالى به ، وهذا التعظيم الذي عظمه به في رحلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إنما هو عبده ، مجرد عبد يعبد مولاه مع إقراره بالعبادة له وحده سبحانه وهو مخلوق له سبحانه كالأنبياء هو من عباد الله وعرفت خلقهم الله وليسوا منسوبين إلى الله في شيء أعلى من العبودية أو غيرها كما ادعى أصحاب الديانات الأخرى ، ومن تأمل أدنى تأمل ما بين قوله تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾ [2]. ظهر له الفرق التام بين مقام الحبيب ومقام الكليم ، ولم يسم الله تعالى من أحد بالعبد مضافاً إلى ضمير الغيبة (عبده) المشار به إلى الهوية إلا النبي ﷺ .

وقد وقع الإسراء قبل الهجرة بسنة أو أكثر قليلاً .

والإسراء سيره ﷺ ليلاً على وجه خارق للعادة من مكة المكرمة إلى بيت المقدس بالشام .

---

[1] الإسراء ١ .

[2] الأعراف : ١٤٣ .

والمعراج : هو صعوده ﷺ من بيت المقدس إلى السماوات العلا .

ومن العلماء من كان يقول إن الإسراء والمعراج وقعا له ﷺ وهو نائم أو بين النائم واليقظان كما ورد في بعض روايات الحديث : بينما أنا عند البيت (أي في المسجد الحرام) بين النائم واليقظان إذ أتاني آت ... إلخ الحديث ، ولكن الاحتجاج بالحديث على أنه ﷺ كان نائماً غير صحيح إذ ليس في الحديث ما يدل على أنه كان نائماً في تمام الرحلة .

وقيل كان الإسراء بجسده ﷺ في اليقظة إلى بيت المقدس لكانت رؤية عين ثم عرج بروحه الشريفة عليه الصلاة والسلام إلى السماوات العلا فكانت رؤيا قلب لأن الكفار استبعدوا الرحلة إلى بيت المقدس ولم يستبعدوا المعراج إلى السماء فدل على أنه كان بالروح لا بالجسد .

ورأى جمهور علماء السلف من الفقهاء والمحدثين وعلماء التوحيد أن الإسراء والمعراج كانا بالجسم والروح معاً في اليقظة .

وقال جمهور العلماء : إنهما لو كانا مناماً أو بالروح لما تعجبت قريش ولا اعتبروا أمرهما مستحيلاً . لأن النائم قد يرى نفسه في السماء ويذهب من المشرق إلى المغرب ولا يستبعد ذلك أحد .

وأيضاً قوله تعالى : ﴿ بعبده ﴾ يدل على أن العبد مجموع الروح والجسد معاً .

ومما دل على استبعادهم عقلهم أن يصف لهم بيت المقدس وأن
يحدثهم عن عير كانت لهم في الطريق من الشام إلى مكة .

ولما طويت للرسول ﷺ المسافات جغرافياً وفلكياً ولأن بعض العلماء ،
ذلك المستحيل عقلياً على حسابهم ولكن القدرة الإلهية تفتقه بالخارق
للمعتاد بركوب البراق في الإسراء والعروج على المعراج إلى السماء
وبسر القدرة الإلهية الخارقة للمعتاد .

وقد أخبرهم ﷺ بعلامات عن بيت المقدس وقال جابر بن عبد الله
سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلا الله**
لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه] وجاء في علوم
من ... بيت المقدس ، وأخبرهم ﷺ عن عير لهم فذكر لهم أنه مر بعير
بني فلان وهي بالروحاء وقد ضل بعير منهم وهم في طلبه ، ومر بعير
بني فلان وقد ... ثم ... فأخبرهم عن ...
... وقال لهم إنها تقدم إلى مكة يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق
بجملها ... [1] ... وقد جاءت العير ...
ما وصفه ﷺ ولم ... ذلك أثر فيه . وصدق منهم من صدق وكذب
من كذب . أما أبو بكر فقال : إن كان قال ذلك لقد صدق . ذكروا : ...

---

(1) أورق : [illegible]

عن ذلك ؟ قال إني أصدقه على أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء غدوة أو روحة ، فسمي الصديق .

ولم يذكر لهم من أسئلة حول المعراج إذ لا يعرفون شيئاً عـن خبـر السماء بل جعلهم يقتصرون على ما يعرفونه فـي الأرض مـن المسجد الحرام والمسجد الأقصى .

ومنكر الإسراء كافر لأنه ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين والمعراج ثابت بالأحاديث المشهورة ومن ينكره فهو فاسق .

وقال سبحانه : ﴿ ليلاً ﴾ بعد قوله ﴿ أسرى ﴾ الذي يفيد السير ليلاً دلالة على أن الرحلة تمت في جزء من الليل وجاء لفظ : ﴿ سبحان ﴾ دليلاً على كمال قدرة الله وبالغ حكمته وعلية شرفه منزه عن صفات النقص يفيد التعجب من قدرة الله على ذلك .

ويحاول بعضهم أن يستدل بقوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ [1] على أن الرحلة كانت مناماً لأن الرؤيا تختص بالنوم ورد على ذلك جمهور المفسرين بأن الرؤيا تكون بمعنى الرؤية في اليقظة أيضاً .

---

(1) من قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً ﴾ الإسراء : ٦٠ .

ورُوي عن عائشة ومعاوية – رضي الله عنهما – إنكار الإسراء والمعراج بالجسد ، لأن عائشة – رضي الله عنها – قالت : والله ما فقدت جسد رسول الله ﷺ ولكن عرج بروحه، وعن معاوية: إنما عرج بروحه

ولكن جمهور العلماء ينكرون عدم صحة هذه الروايات لأن عائشة في وقت حدوث هذه المعجزة كانت صغيرة ولم يكن الرسول قد تزوجها بعد ولم يكن معاوية قد أسلم في هذا الوقت .

وقد كان النبي ﷺ – كما في بعض الروايات الصحيحة – نائمًا في بيت أم هانئ تقول : فقدته ﷺ وكان نائمًا عندي فامتنع مني النوم مخافة أن يكون بعض قريش فعلوا به شيئًا من أذاهم ، وقد بلغ حرصهم مخوفه إلى أقربائه بني عبد المطلب فسكنوا عنه إلى أن أخبرهم برحلته المقدسة .

وقد وقع الإسراء والمعراج في السابع والعشرين من شهر رجب وهو الراجح عند العلماء .

رحلة الإسراء والمعراج معجزة

س : ماذا تعني رحلة الإسراء والمعراج بمفهومها الشامل ؟

ج : هذه الدعوة الإلهية لرسول الإنسانية إلى الرحاب الإلهي الكريم هي معجزة بكل المقاييس لا يقدر عليها إلا هو الجليل القادر فبينما كان النبي ﷺ يبيت عند أم هانئ إذ بجبريل – عليه السلام – يأتيه بالبراق ويسبقه بعد أن شق صدره وحشاه بالحكمة والإيمان إلى بيت المقدس بالشام أعده سواء الإعداد المتقن لملاقاة ذي الجلال ، وأجرى له الاستعداد النفسي والجسمي الملائم ، أما كيف شق صدره الشريف وأما كيف قطع المسافة الطويلة إلى بيت المقدس في جزء من الليل لا يعد بمقياس الزمن شيئًا فيبدو بداهة

اللطيف التسيير ثم كيف سخرت الأسباب فمشى بهم ليبدأ فيها [illegible] من صنع الخالق القادر على الإبانة والإنشاء، ركب البراق الذي كان خطوه على مدى بصره، وهذا لا يتعلق بدمة [illegible] على الإطلاق، ثم إنه ﷺ عرج به إلى السماوات العلا وبين الأرض والسماوات فرق شاسع ببعض كما يقول العلماء في العصر الحديث من (٣٠٠) مليار سنة من السنين الضوئية [illegible] صفحة الزمن وأوقف عن السير المعهود، وتمت الرحلة التي [illegible] تحققت بصورة بحيث جاء ﷺ إلى [illegible] فراشه [illegible].

ولقد التقى الرسول الكريم بالرسل خلال الرحلة مرتين، الأولى عندما صلى بهم في بيت المقدس (المسجد الأقصى)، والثانية عندما كان يعرج به، فصعد في السماوات ثم في السماء الأولى سيدنا آدم عليه السلام، وفي السماء الثانية يحيى وعيسى عليهما السلام، وفي السماء الثالثة يوسف عليه السلام، وفي السماء الرابعة إدريس عليه السلام، وفي السماء الخامسة هارون عليه السلام، وفي السماء السادسة موسى [illegible] السلام، وفي السماء السابعة إبراهيم عليه السلام، [illegible] عليهم جميعاً [illegible] على [illegible] على عقيدة [illegible] كذلك يقول [illegible] ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ [illegible]

[أوتي أهل التوراة التوراة ، فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا ، فأعطوا قيراطاً قيراطاً ، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل ، فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا ، فأعطوا قيراطاً قيراطاً ، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين ، فقال أهل الكتاب : أي ربنا ، أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطاً قيراطاً ونحن كنا أكثر عملاً ؟ قال . قال الله عز وجل : هل ظلمتكم من أجركم من شيء ؟ قالوا : لا . قال . فهو فضلي أوتيه من أشاء] (عمدة القاري ٥/٥٠) .

الإسراء والمعراج دعوة إلى وحدة الأمة ضد الأخطار التي تحيط بها :

لقد بدأت الرحلة الأرضية المعجزة للرسول الكريم من مكة إلى القدس [illegible] كما قال تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ (١) وفي ذلك [illegible]

وبذكر [illegible]

(١) [illegible]

تعتنم وذلك من الخشوع والتبتل ، وصعود برج طالعت بالمسجد الشريف
ومكان صالح في بلاد فلسطين بعد هلاك قومه ، وإبراهيم مكان مهوى بين
قومه ، ومكة بعد هجرته من [illegible] وخروج من أرضها فلسطين .
وهكذا يتواصل الأنبياء هذا المجد إلى عيسى عليه السلام وقد كان المحراب
مكان السيدة مريم في المسجد، وهو مكان مرتفع في المسجد الأقصى كان
مقراً لها مثل ما نشاهده في باب الكعبة الآن ، وكان زكريا عليه السلام
يأتيها بالطعام والشراب فيجد عندها من الرزق ما يعجب له ﴿ كلما
دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت
هو من عند الله ﴾[1] ، ويتم هذا بما نحكي لعيسى السلام في هذا المكان
المبارك ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه
اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين *
ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين ﴾[2] .

ثم إن مكان إسرائه عليه السلام من المسجد الحرام بين أعمدة هذا
المكان وما حل من بركته [illegible] وأنه هاجر فيه [illegible]
[illegible] ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير
ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس
تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾[3] .

---

(1) آل عمران : ٣٧
(2) آل عمران : ٤٥ ـ ٤٦
(3) إبراهيم : ٣٧

وجاء الإسراء تسرية عن الرسول ﷺ بعد أن كذبه قومه وخرج إلى الطائف ليلاقي العنت من أهلها ونزل إليه ملك الجبال مستجيباً لدعوته قائلاً له : " إن شئت أطبق عليهم الأخشبين " ويقول له الحق سبحانه : ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ [1] .

ولقد لقي ربه حقاً : ﴿ عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى ﴾[2].
وأراه الله تعالى نهري النيل والفرات ليبشره بفتح هذه الأرض وانتشار الدعوة ونشرها والدفاع عنها ، وفرضت الصلاة التي هي الصلة بين العبد وربه مباشرة لا عن طريق الوسائط الأخرى .

إن القدس عربية الاسم والهوية والبنيان فالشعب الذي سكنها عربي من العرب الكنعانيين وهم اليبوسيون الذين سكنوا أرض فلسطين في الألف الرابعة أو الألف الثالثة قبل الميلاد والقدس منزلة كبرى تزداد شرفاً وقداسة فهي مسرى النبي ﷺ وفيها المسجد الأقصى الذي هو القبلة الأولى للمسلمين في الصلاة مدة بلغت ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ثم تحول بعدها المسلمون للصلاة إلى الكعبة كما قال تعالى : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾[3] وقال سبحانه : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا

---

[1] هود : ١٢٠ .

[2] النجم : ١٤ ـ ١٥ .

[3] البقرة : ١٤٣ .

عليها ﴾ [١] . وقال عز من قائل : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ﴾ [٢] .

والمسجد الأقصى أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها قال ﷺ ـ فيما رواه البخاري ـ : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي " ويضاعف أجر الصلاة فيه فقد قال ﷺ : [الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة والصلاة في مسجدي بألف صلاة والصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة] .

وشد الصحابة والتابعون والخلفاء الرحال إليه وتناوبوا عليه من الأمويين والمماليك والعثمانيين وكان بعضهم يكنس الصخرة ويغسلها بماء الورد ومنهم سلطان مصر الظاهر بيبرس والملك الناصر محمد بن قلاوون وكذلك السلطان التركي سليمان القانوني والسلطان عبد الحميد وغيرهم . ويبدو على طرف الصخرة الأيمن أثر قدم الرسول ﷺ ليلة المعراج من فوقها وقال ﷺ : [صليت ليلة أسري بي إلى بيت المقدس عن يمين الصخرة] وقد أقام عمر بن الخطاب بها مسجده (مسجد قبة الصخرة) وأقام بها عبد الملك بن مروان كذلك مسجدا وبقي به المسألة إلى اليوم من قبة الصخرة وتوالت عمارته على يد الوليد بن عبد الملك وأعيدت عمارته في العصر العباسي والفاطمي والأيوبي والمملوكي وبعد الحروب الصليبية جدده صلاح الدين وجددت قبة الصخرة سنة ٥٨٥هـ .

---

(١) النجم : ١٤٦

(٢) البقرة : ١٤٤

ودعاوى اليهود في المدينة المقدسة أو في حيز منها من أراضي فلسطين كلها حكايات خرافية كما يقول الصحفي البريطاني تيرنس كولنان في صحيفة الجارديان البريطانية .

ولا يوجد ما يسمى حائط المبكى وقد تشكلت لجنة دولية من قانونيين من سويسرا وهولندا والسويد سنة ١٩٣٠م وأطلق عليها اسم لجنة البراق واجتمعت ثلاثة وعشرين جلسة واستمعت إلى شهود ومحامين من شتى أنحاء العالم وأصدرت قرارها بأن حائط البراق الذي أطلق عليه ظلما اسم حائط المبكى حق للعرب والمسلمين لأنه جزء من الحرم الشريف والصخرة المقدسة للحرم ملك إسلامي والأملاك المجاورة للحرم أوقاف إسلامية واعترفت بذلك الحكومة البريطانية في كتابها إلى البرلمان سنة ١٩٢٨م، ولا يوجد ما يسمى بحائط يربط بهيكل سليمان، ولكن إسرائيل استمرت في الاستيلاء والمصادرة لممتلكات العرب في القدس منذ عدوان ١٩٦٧م

ولابد من تحرك ضمير الإنسانية ، لقد وجه المؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي إلى اليهود قوله (لا تقترفوا أخطاء الصليبيين) .

ولابد من تنبيه العرب والمسلمين إلى ما يجري من سفك الدماء في القدس والأرض الفلسطينية على يد عصابة الصهيونية وما يحيكونه من مخططات نسف وتدمير، ولابد من جمع الكلمة والدفاع عن القدس والمسجد الأقصى

يجب أن نعمل على مساعدتنا للتحرير كصلاح الدين الأيوبي وأن نعد جيل يحرر الشعب الفلسطيني والمقدسات الأقصى التي تدعو إلى دعم ومعاونة من جانب العالم العربي والإسلامي حتى تتحرر الأرض

العربية وبعودة المهجرين إلى ديارهم من أبناء فلسطين الذين شردهم اليهود ، وبعودة المسجد الأقصى والقدس الشريف إلى أحضان المسلمين كما تقرر ذلك كل المواثيق الدولية .

وعلى المسلمين والمسيحيين أن يدركوا مخططهم معا لحماية المقدسات الإسلامية وتخليصها من براثن العدو الصهيوني وعليهم العمل لعودة الروح التي تتضافر مع القوة المادية لمواجهة ما يحدق بالأمة من أخطار وإن الهزيمة العربية تحتاج إلى جيل ربما ينشأ بعد جيل أن ينصر الله تعالى ورسوله وشريعته فقال : « كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز » [1].

وعلينا أن نتخذ مقولة عمر بن الخطاب في كتابه إلى سعد بن أبي وقاص قبل بدء المعركة في القادسية : « إنما لا ننتصر على العدو بكثرة عددنا ولا عدد لنا ولكن ننتصر عليهم بأعمالنا ، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » [2]. وبهذا تعالى الأبرار على الجبال كما حدث في الحروب الصليبية قال تعالى : « فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا » [3] ولقد ... رحلة الإسراء والمعراج ... المستمسكين بالحق المدافعين عنه .

---

(1) سورة المجادلة : ٢١

(2) [illegible]

(3) سورة الإسراء : ٧

عصمة الرسول ﷺ عما يصرفه عن تبليغ رسالته إلى الناس

إن الله تعالى عصم رسوله محمداً ﷺ وحفظه برعايته وعنايته بحفظه فلم ينفذ إليه الشيطان، ولم يستطع إضلاله لأنه ليس له سلطان على [illegible] تبليغ رسالته إلى الناس.

وإليك شيئاً من عصمته [illegible].

[illegible] في قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ [1].

[illegible]

[illegible] ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً [illegible]

[illegible]

[illegible]

معصوم من النسيان بمقتضى قوله تعالى : ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾ [1] ، ولا يأتيه إلا جبريل ملك الوحي جبريل ، كما قال ﷺ : [إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها] (الحديث) .

ومعنى الآية بعد كل هذا عما زعموا ، معنى ﴿ ألقى الشيطان في أمنيته ﴾ أن الشيطان يتسلط على عقول المشركين فيحرفون معنى الآيات القرآنية ويحولونها إلى الضلال بفعل الشيطان معهم ، والرسول ــ بتوجيه من الله ــ يوضح المراد وينفي الباطل الذي يدعون .

ومن المزاعم التي يزعمونها أن الرسول الكريم ﷺ كاد يركن ويميل ويتبع مراد المضللين للأهواء ، واستندوا إلى قوله تعالى : ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ﴾ [2] .

ونقول : لقد حمى الله تعالى نبيه ﷺ من الاستجابة لمحاولات المشركين مما عرضوه عليه من أن يمسك عن شتم آلهتهم ، وأن يمسها حتى يهتدوا إليه وأن يجعل لكبرائهم مجلسا لا يجتمع معهم فيه الفقراء ، وغير ذلك ، لكنه لم يحدث منه ميل أو ركون إلى ما أرادوه ، وقوله تعالى : ﴿ لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ﴾ ، لا يعني أنه مد لهم شيئا مما طلبوه ، لأن الله تعالى عصمه حتى من مجرد التفكير فيما يطلبون منه ، فهو لن يستجيب لطلبهم في عبادة غير الله ، كما جاء في سورة الكافرون ، ولن يعرض عن مجالسة الفقراء فهم المؤمنون وهو مطالب بمعاصرة المؤمنين

---

(1) الأعلى ٦ .

(2) الإسراء ٧٤ .

ولو كانت منزلتهم الاجتماعية دون منزلة الكبراء المستكبرين كما قال تعالى : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾[1]

هكذا يحمي القرآن ساحة رسوله ، وتتبين الحقائق ناصعة ويبدو الفهم السليم لآيات الكتاب العزيز ، أما هؤلاء المرجفون من المنافقين والمشككين فقد عميت أبصارهم أو تعاموا فضلوا ضلالاً بعيداً ، ويبقى مقام النبوة الكريم محروساً بحماية الله .

---

(١) الكهف ٢٨



عتاب الرسول ﷺ

إن الله تعالى قد عصم رسوله محمداً ﷺ وحرسه بعنايته وقد رباه من الزلل وأحسن توجيهه فيما اجتهد فيه بكثير من العتاب الرقيق ليبقى على ما أراده الله رسولاً كريماً لا يحيد عما أوحي إليه .

والعتاب أسلوب رقيق يجري بين الأحبة ولا يحصل إلا بالمودة ومع استعمال الرفق واللين يبدو الحرص على ما كان ينبغي على النبي ﷺ فعله .

لقد عاتب الله تعالى رسوله في أسرى بدر بأخذ الفداء وترك القتل كما جاء في قوله تعالى : ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ﴾ [1] .

وقد زعم زاعم أن عتاب المولى سبحانه للنبي ﷺ في عدم قتل الأسرى دعوة إلى العنف ، والحقيقة أنه سبحانه لم يطلب من النبي قتلهم بعد الأسر ، وإنما عاتبه على أن المسلمين لم يقتلوا هؤلاء المشركين قبل الأسر في ميدان معركة بدر وقد كانوا من رؤوس المشركين الذين عذبوا المسلمين وأخرجوهم من ديارهم ، مما كان يقتضي ردعهم في أول معركة بين الحق والباطل ، أما بعد أسرهم فقد أباح الله تعالى لنبيه أخذ الفدية ،

---

(1) الأنفال : 67 .

قال سبحانه : ﴿ فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً ﴾ [1] . وفي المعارك التالية ـ بعد استقرار الدعوة ـ أباح للمسلمين أخذ الفداء صراحة فقال سبحانه :
﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ [2] .

وعتاب ثان للنبي ﷺ على عفوه عمن تخلف عن الجهاد في غزوة تبوك بقوله تعالى : ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾ [3] .

والواقع أن المنافقين هم الذين تخلفوا عن هذه الغزوة وقدموا المعاذير للرسول وتذرعوا بالأعمال الكاذبة فأذن لهم وهو بشر يحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فبين له الله تعالى عدم صحة أعذارهم وأنهم أرادوا الإفلات من المعركة ومخاطرها إلى رحالهم ، وجاء العتاب رقيقاً مقدماً العفو عن الرسول فيما فعله من قبول أعذار المنافقين مع عدم التثبت من صحة أعذارهم وهذا درس له أن يتثبت قبل إصدار الأحكام وفي تنفيذ العفو والمعاملة لمن تتعامل معهم ممن يظهرون النفع وهم في الحقيقة يضرون الأمة .

وعتاب ثالث للنبي ﷺ على ما حدث منه مع (عبد الله بن أم مكتوم) ـ الأعمى ـ فقال : ﴿ عبس وتولى * أن جاءه الأعمى ﴾ [4] .

---

(1) الأنفال : ٦٩ .
(2) محمد : ٤ .
(3) التوبة : ٤٣ .
(4) عبس : ١ ـ ٢ .

والرسول ﷺ عذره ، فقد كان مع جماعة من صناديد قريش وجاءه عبد الله يناديه فأعرض عنه الرسول حتى ينتهي من لقاء عظماء القوم الذين يرجو لهم الهداية ، وهذا من منطلق حرص الرسول على هداية الناس جميعًا لكن الله تعالى وجه رسوله إلى أن المبادرة إلى الطائع أولى وهو سبحانه يعلم الشقاق والنفاق ويعلم رسوله ويوجهه هذا التوجيه السليم .

ولا شك أن هذا يؤكد حب الحق سبحانه على سلامة تصرف نبيه في أداء الرسالة الموكولة إليه .

وهذا يعطينا درساً في النصح والإرشاد وتوجيه من يحتاج إليه عملاً بقول الرسول ﷺ : [الدين النصيحة] . قلنا : لمن يا رسول الله قال : [لله ورسوله وللمسلمين وعامتهم] .

شفاعة النبي ﷺ

ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن نبي البشرية محمدًا ﷺ الشافع المشفع، وأنه يشفع في الخلائق يوم القيامة فيخلصهم من هول الموقف، يقول ﷺ: [إن الناس يأتوني – بعد ذهابهم إلى أولي العزم من الرسل وأبيهم آدم – فأذهب إلى ربي فإذا رأيته خررت ساجدًا وأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن. فيقال لي: أي محمد. ارفع رأسك وقل تسمع، وسل تعط واشفع تشفع. قال: فيحد لي حد فأدخلهم الجنة وذلك بإذن الله تعالى بالشفاعة] كما قال سبحانه: ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ [1].

وقد اتفق أهل السنة والجماعة أنه ﷺ يشفع في أهل الكبائر، وأنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد.

فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: [شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي]، وعن عوف بن مالك عن النبي ﷺ قال: [شفاعتي لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا] ويقول: [خيار أمتي يدخلون الجنة بأعمالهم وشرار أمتي ينتظرون شفاعتي].

(١) سبأ: ٢٣.

وهو ﷺ يشفع فيمن يستحق دخول النار ، ألا يدخلها ، ويشفع ﷺ في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهي مختصة به ﷺ .

ويشفع في إخراج قوم من النار .

ويشفع في تخفيف العذاب عمن استحق العذاب في النار ومن أدلة ذلك الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال : [أنا أول شافع وأول مشفع] . وذكر عنده بعضهم فقال : [لعله تنفعه شفاعتي فيجعل في ضحضاح من نار] كما يشفع ﷺ في زيادة الدرجات في الجنة

جعله الله تعالى شفيعا لنا يوم القيامة وأعطاه الوسيلة والفضيلة وبعثه المقام المحمود الذي وعده بقوله سبحانه : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ [1] .

---

[1] الإسراء : ٧٩ .

الشفاعة المحمدية ثابتة

هناك من الكتاب من يصدر فهمهم عن بعض آيات القرآن الكريم ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ﴾ [1] . فيرون أن هؤلاء مسلمين يدخلون النار خالدين فيها وما هم عنها بمخرجين ! وكذلك الآية الأخرى التي يقول فيها ربنا : ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ﴾ [2] .

والواقع أن هذا الفهم – في الآيتين الكريمتين – ليس من بنات أفكار هؤلاء بل هو رأي الخوارج الذين كفروا مرتكب الذنوب وجعلوا جميع الذنوب كبائر – ورأي المعتزلة الذين أخرجوا مرتكب الكبيرة من الإيمان فمن يتعد حدود الله ومن يقتل مؤمناً عندهم مخلد في النار .

وهذا الرأي مردود عليه عند المحققين والعلماء من أهل السنة .

أولاً : لأن ما في قواميس اللغة والمعاجم من معاني الألفاظ العربية لا يؤيد هذا الرأي الذي قال به الخوارج والمعتزلة ، فالخلود – كما يكون بمعنى البقاء الدائم – يكون بمعنى المكث مدة طويلة ، يقال في اللغة : خلد بالمكان : أطال الإقامة فيه .

---

(1) النساء : 14 .

(2) النساء : 93 .

وبناء عليه فالآية الأولى إخبار عن تعذيب المتعدي لحدود الله بحسب الوقت لا كل الوقت ، وكذلك الذي يقتل مؤمنًا متعمدًا يمكث مدة في النار — فالخلود في الآيتين — بمعنى المكث الطويل لا البقاء الدائم .

ثانيًا : تشهد الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة بأن المؤمن الطائع يدخل الجنة ، والمؤمن العاصي إذا تاب عن ذنبه صار كمن لا ذنب له فيدخل الجنة — أيضًا — ، أما المؤمن الذي يرتكب الذنوب — غير الذنوب التي تؤدي إلى الكفر — ولم يتب عنها فهو في مشيئة الله تعالى ، إن شاء عفا عنه فيدخل الجنة مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [1] .

وقوله عليه الصلاة والسلام : [من قال لا إله إلا الله دخل الجنة] . وإن شاء عذبه على مقدار ذنوبه ثم يدخل الجنة مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره ﴾ [2] .

وهذا هو رأي أهل السنة فهم لا يكفرون أحدًا من المسلمين بارتكاب الذنوب صغيرة كانت أو كبيرة ، بشرط ألا تكون من الذنوب المكفرة . فالمؤمن يدخل الجنة على ما مات عليه من اعتقاد صحيح في ألوهية الله تعالى وحده وعلى ما قدم من العمل الصالح .

---

(١) النساء : ٤٨ .

(٢) الزلزلة ٧ - ٨ .

وإذا قيل : كيف لا ينفذ الله تعالى وعيده بالعذاب في عصاة المؤمنين وكيف يعفو عنهم ؟

فنقول : إن الكريم يمكن أن يعد ولا ينفذ تهديده ووعيده ، والعفو عن الوعيد فضل ورحمة منه ، وفي حديث أنس – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : [من وعده الله تعالى على عمله ثوابا فهو منجز له ومن أوعده على عمله عقابا فهو بالخيار إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه] فلا يمنع من دخول الجنة من نطق بالشهادتين ومات على الإيمان .

وينفي البعض الشفاعة العظمى وأنواع الشفاعة الأخرى التي اختص بها ﷺ والتي يأذن الله تعالى لبعض خلقه ، مدعيا أن الشفاعة لا تصح إلا بمجرد البشارة

ويقع في خطأ شديد من يفسر المقام المحمود للرسول ﷺ بأنه مقام البشارة في قوله تعالى : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ [1]

ويقول أحدهم : [وتقدم هنا مقام البشارة العظمى – والله أعلم – وليس هذه الشفاعة العظمى – كما ذكر المفسرون – والأقرب – في زعم الكاتب – أن يكون هذا المقام المحمود هو مقام (التبشير الأعظم) وذلك لأن القرآن مذكور في آياته أنه هو الذي أرسل رسوله بالهدى نذيرا ، وبشيرا وسيكون القرب من الله سيكون أول من يعلم بأكبر خبر السعداء من أمته وسيكون أول من يبشرهم بالجنة والرضوان] .

---

(١) الإسراء ٧٩

وهذا فهم خاطئ للشفاعة ؛ لأنه فهم أن الشفاعة والمغفرة المجردة معنى إبطال العدالة كحالة مطلقا .

ولم يعرف أن للرسول ﷺ أنواعا من الشفاعات الثابتة بالآيات والأحاديث الصحيحة . وأن أعظمها المقام المحمود هو الشفاعة العظمى ، وهي ليست الشفاعة للعصاة – كما تصور الكاتب – وإنما هي رجاء الحق سبحانه أن ينقذ الناس جميعا من هول الموقف بسرعة القضاء بين الناس والفصل بينهم حتى يريح الخلق من طول الوقوف ومشقته ، وهي مختصة بالنبي ﷺ ، وقد ثبتت بالكتاب والسنة والإجماع ، وتلك الأحاديث الصحيحة على أن الناس يوم القيامة يذهبون إلى آدم وأولي العزم من الرسل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى فيردهم كل نبي إلى الذي بعده فيقولون : [ائتوا إلى محمد الشفيع ليقضي بين الخلق] فيبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم . رواه البخاري عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما

وقال الله : حديث شهادته ﷺ على الرسل جميعا بأنهم قد بلغوا رسالات ربهم إلى الناس في هذا الموقف العظيم ففي الحديث [يدعى نوح فيقال : هل بلغت ؟ فيقول : نعم . فتدعى قومه فيقال : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير ، وما أتانا من أحد فيقال : من شهودك ؟ فيقول : محمد وأمته ، قال : فيؤتى بكم تشهدون أنه قد بلغ ، فذلك قول الله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس

ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ [1] وقوله سبحانه : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ [2].

فالمقام المحمود ليس هو التبشير والإنذار أو الشفاعة العظمى كما قال الكاتب .

والفرع الثاني هو شفاعته ﷺ ، وشفاعة غيره للعصاة من مرتكبي الكبائر . وقد أنكر الكاتب هذا النوع من الشفاعة ـ أيضا ـ مدعيا أن أهل النار لا يخرجون من النار أبدا مقتضى آيات من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى: ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ [3]. ومدعيا أن الرسول لا يستطيع إنقاذ أحد من النار بمقتضى قوله تعالى : ﴿ أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار ﴾ [4]. وأن للنار أبوابا ولكل باب ممن يمر منه وهو معلوم محدد لا يتغير ولا يتحول ﴿ لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ﴾ [5]. وقد غفل الكاتب عن أن المخلدين في النار هم الكفار لا عصاة المؤمنين ، وهم الذين لا يخرجون من النار ومكانهم معروف ، ولنقرأ الآيات لنعرف سياقها ، فالآية الأولى التي أوردها الكاتب مترتبة على ما قبلها من الحديث عمن يتخذون شركاء لله يقول تعالى :

---

[1] البقرة : ١٤٣ .

[2] النساء : ٤١ .

[3] البقرة : ١٦٧ .

[4] الزمر : ١٩ .

[5] الحجر : ٤٤ .

﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ﴾ [1]، ويفرق القرآن بين هؤلاء الكفار وبين المؤمنين فيقول : ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ [2] ، ثم يتكلم عمن يرون العذاب وأنهم الذين ظلموا ، والظلم يعني الشرك بالله ... ﴿ ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب ﴾ [3] . ويرون من القصر يحسرون سواهم بالكفر ، فيصلون معهم ويدخلون النار ولا يخرجون منها .

والأمر مختلف ، فالشفاعة تمنع للكفار بينما هي لعصاة المؤمنين ، وهكذا نرى اقتطاع الآية عن سياقها وكذلك الآية الكريمة . ﴿ أفأنت تنقذ من في النار ﴾ [4] ، إنما هي في الكفار – أيضا – قبلها : ﴿ فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين * لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون ﴾ [5] . وكذلك من نحتت إقامتهم في النار فهو من الكفار لا من عصاة المؤمنين ، فهذه الآية فيمن زين لهم الشيطان فصرفهم إلى الكفر ، كما قال تعالى : ﴿ إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى

---

(1) البقرة : ١٦٥
(2) البقرة : ١٦٥
(3) البقرة : ١٦٥
(4) الزمر : ١٩
(5) الزمر : ١٥ – ١٦

لهم » [1] ، وكذلك ما ورد في سورة الحجر من تزيين الشيطان للكافرين عبادة غير الله .

وأن الحديث عن الذين خلطوا عملاً صالحاً والمرجون لأمر الله حتى تخصيص أمرهم بالله تعالى وحده ، ليس ملتبسا عن أن الشفاعة مخصصة بالله وحده وليس لأحد مطلقا شفاعة حتى محمد كما ادعى الكاتب .

ليس الأمر كما قال بل إن الكاتب فصل الآيات هنا عن سياقها ؛ فقد وردت في غزوة تبوك بشأن بعض الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في تلك الغزوة ، فبعضهم اعترف بالتقصير في أمر الخروج ، وبعضهم فوض أمره إلى الله أن يقبل توبته عما بدر منه ، وذلك من أمور لسببها فيما بينهم من مخالفة الأمر بالخروج للغزو وليس ذلك بالحديث عن يوم القيامة ، إنما هو في أمر قبول توبتهم عما وقع منهم فذلك يخضع لمشيئة الله وإرادته .

والمتوقع أن تفسير القرآن ينبغي أن يكون مبنيا على أساس سليم لا على مجرد الاجتهاد والتخمين من غير سند أو دليل ، ولا صلة لهذه الآيات بموضوع الشفاعة لحساب المؤمنين .

وقد حاول الكاتب الشفاعة لله وحده بأنها لها حق غيره ، وأورد بعض الآيات التي أراد الاستدلال بها على ذلك . فقال : إن الشفاعة مقررة لله وحده ، وهذا ثابت مستقل من آيات القرآن لا مرية فيه إن أكثرون القسم

. . .

(١) محمد ١٥

في ذلك اليوم – يوم الدين – يوم تدان الأنفس بما عملت ، أنه لا شفاعة تجدي، ولا شفاعة تقبل لأنه لا أحد يملك هذه الشفاعة فلله الشفاعة جميعا)

وشفاعة من يشفعون هي عبارة عن التهنئة بالنجاة ولا تكون إلا بعد أن يشفع الله بأن يصدر العفو والصفح إذا أراد أن يجازي من يريد ثم يخرجه من النار بعفوه، وصفحه : (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) [1] .

ونحن نرى أن الكاتب قد تحول بالاسم إلى معنى الشفاعة بعدم محاسبة العاصي على عصيانه .

وهنا يحق لنا نقول : هل مجرد شهادة أن لا إله إلا الله دون عمل تدخل الجنة ، أو فعل قائلها السيئات ؟ في رأي الكاتب ، فهمه أن جعل مجال الشفاعة ، وهو بهذا بعيد عما قرر علماء بشأن الشفاعة للعصاة من المؤمنين .

إن العلماء يقولون : إن الشفاعة لمرتكبي المعاصي من المؤمنين تكون بعد الحساب والجزاء في النار على ما ارتكبوا من المعاصي كما يقول ﷺ : [خيار أمتي يدخلون الجنة بأعمالهم، وشرار أمتي ينتظرون شفاعتي] .

فهذا النوع من الشفاعة يكون بإخراج قوم من النار بعد قضائهم العقوبة على ما اقترفوا من السيئات ، أو في تخفيف العذاب عن بعضهم.

---

(١) النساء : ١٢٣ .

النار ، ولا يشفع أحد – ممن يأذن الله لهم في الشفاعة – لمن يدخل النار إلا بعد استيفائهم مدة العقوبة على المعاصي.

ومن أنواع الشفاعة التي هي خاصة بالمصطفى ﷺ أن يشفع لقوم لا يدخلون النار على بعض ما ارتكبوا من السيئات نظرا لأعمالهم الصالحة التي يثيب الله عليهم بها كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾ [1] ، وكما قال سبحانه : ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ [2] .

وليس مجرد الاعتقاد القلبي مؤهلا صاحبه لنيل الشفاعة إلا إذا اقترن الاعتقاد بالعمل الصالح ، والتوبة عن السيئات ، فالعمل الصالح أساس قوي من أسس الإيمان ، ولذلك لم يأت الإيمان في القرآن الكريم إلا مقترنا بالعمل كما قال تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ﴾ [3] ، وكما قال عز حكمه : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ﴾ [4] .

ومن أجل ذلك جاء الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن

---

(1) الصف : ١٠ – ١٢ .

(2) هود : ١١٤ .

(3) الكهف : ٣٠ .

(4) الكهف : ١٠٧ .

عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : [من شهد أن لا إله إلا الله ..
أدخله الله الجنة على ما كان من عمل]

والأحاديث التي تدل على أن من نطق بالشهادتين دخل الجنة وإن ارتكب السيئات محمولة على من تاب عنها ، وعمل الصالحات ، ويعتمد العلماء عليها مثل حديث أبي ذر عندما حدثه الرسول ﷺ بأن [من قال لا إله إلا الله دخل الجنة] فسأله أبو ذر : وإن زنى وإن سرق فقال له الرسول ﷺ : [وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي ذر] أمر محمول على دخول الجنة بعد توفر شروط دخولها المتعلقة . ولا يتعارض هذا الحديث مع الحديث الآخر الذي قال فيه الرسول ﷺ : [لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن] الخ ، لأن المراد نفي كمال الإيمان لا نفي الإيمان مطلقا .

فمآل عصاة المؤمنين — في النهاية — الجنة ، بعد أن يأخذوا الجزاء على سيئاتهم ، والمهم في الإسلام أن يترك الإنسان العمل على التقارب بعمل ما يشاء من المعاصي ثم يدخل الجنة ، والأقوال التي تدل على ذلك ضعف العلماء نسبتها إلى الرسول ﷺ مثل ما قيل من أن عبدا ارتكب معصية ثم دعا ربه فقال الله : " علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ، ثم عاد العبد فارتكب معصية أخرى فدعا ربه فغفر له ، ثم كرر المعصية مرات أخرى فدعا فغفر له وقال الرب : فليفعل عبدي ما شاء " .

وقد يقول قائل : إن بعض الأحاديث تدل على أن دخول الجنة يكون برحمة الله لا بالعمل ، مثل قوله ﷺ : [لا يدخل أحدا عمله الجنة] ،

قيل : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : [ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته] هذا حديث صحيح لكن الناس لا يفهمون المراد منه ، إن المراد من مثل هذا الحديث أن أعمال الناس – إذا وزنت – لا تكافئ بعض ما أنعم الله تعالى به على الإنسان من نعم كثيرة ، كسلامة أعضاء جسمه من يد وعين وقلب ومفاصل وغيرها ، ورزق ومكانة دنيوية ، والرسول رحمة للعالمين – كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [1] . ولكن هذا لا يعني بإدخالهم الجنة بلا عمل ، بل إن النبي ﷺ رحمة للمسلمين بتوجيههم إلى ما ينفعهم ونهيهم عما يضرهم ، فتلك – والله أعلم – هي الرحمة المرادة كما قال سبحانه : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ [2] .

ورب يقول قائل : ما فائدة الشفاعة إن كانت لا تتحقق إلا بعد نزاهة العبد عن السيئات ومجازاته عليها ؟

فنقول : إن فائدتها هي إظهار مزية الشفيع على غيره ، وبيان علو منزلته عند الله تعالى ، فلولا الشفاعة لعز بقاء المشفوع له في النار دون خروجه منها .

---

[1] الأنبياء : ١٠٧

[2] الأعراف : ١٥٧

فالشفاعة ثابتة للرسول ﷺ ، ومن يأذن له فيها من أهل الحق سبحانه ولا يصح الخلاف حولها ، لأنها لا تتعارض مع قضية العدل ، ولا يصح إبعاد الأحاديث الثابتة الصحيحة ، ولا نسبتها إلى الإسرائيليات رجماً بالغيب ، وقد قال ﷺ : [من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار] .

كما لا يصح تفسير آيات الكتاب العزيز إلا لمن يملك أدوات التفسير ويسير على نهجها الصحيحة ، والكاتب ينسى أن إخراج الرسول شفاعته للبعض من النار ، وإدخالهم الجنة ينقض صريح القرآن ولا يمكن أن يكون له أساس من الصحة ، وهذه مصادرة على الأدلة الثابتة دون دليل ثم إنه يفسر قوله تعالى ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ [1] . على أن الشفاعة المشتركة للعصر ذلك ثابت بالعلم بأن الله عفا عن فلان وبعد الإذن ، فكيف يصدر أولا شرعية الشفاعة

ونحن نختلف مع الكاتب في هذا التفسير ؛ لأن الشفاعة تتم قبل علم الشافع بالعفو ، وبعده ، على حد سواء ويكون معنى ﴿ إلا لمن ارتضى ﴾ أي إلا لمن سبق في علم الله أنهم مرضيون ، والكاتب يرى أن معنى ﴿ فله الشفاعة جميعا ﴾ أنه لا شفاعة لغير الله ، مع أن المؤكد أنه هو الذي يأذن بها لمن يشاء ، فالشفاعة ثابتة — كما قال الكاتب — نهاية ومغفرة ، وإنما هي رجاء من الله أن يغفر ، وهذا الرجاء يوافق ما سبق في علم الله بالعفو وهو اختيار من المختص ، ولا يتعارض هذا مع علم الله بظروف الشخص ، لأن الشفاعة ليست علما وإنما هي أداء لرجاء وأمل .

---

(1) الأنبياء : 28 .

ولو كانت الشفاعة لله وحده بالمعنى العرفي لكان معناهـــا أن الله يطلب من نفسه أن يعفو ويصفح ، وبذلك يبطل قول الكاتب : (تتلخص الشفاعة لله وحده في عملية تتم بدون تدخل أحد ولا يملك الكل إلا أن ينتظر ما تتعلـــق به المشيئة) .

وإذا ثبت أن هذا الرجاء يكون لمن تحصل جراء معاملته ومـــن عمـــل صالحاً ينفي ما ذهب إليه الكاتب من أن الشفاعة (إسـقاطات وتركيبـات) بغير حق وليس لأحد يملك يوم الدين إلا الله وحده . وهو الذي يملك العفو عن عباده ويتجاوز عمن يشاء في إطار ما حدده سبحانه من عـــدم إيقـــاع الظلم على أحد ، وكرمه وتفضله على عباده أمـــر يمتلكـــه هـــو سبحانه لا شريك له

هدانا الله سواء السبيل

وأقول في بردتي الشامية :

شفاعة المصطفى العظمى تؤرقني
فيسول الصحب عندي والمراثيل
وإذ محمد يوم الحشـــر سيدنا
سيعلم الجميع مما فيه قد جبلـــوا
" محمد " سيريح الناس قاطبـــة
وفي مسالكه للقلب توصـــــيل
به ترجى أمانـــي لهـــم كثرت
ويسعد المتقي عـــون وتمكين

لا تنكروا الحب إن الحب في كبدي

وحبه فيه لا يطفيه تعـــويل

لا تنكروا من أتيتني روح مشتاق

غني وتحت غناء الدوح محلول

وظل يحلم بالغايات في مســـتقر

وفي الهجيع يواري وهـــو محمول

حتى يقوم بيوم الحشر يسعـــــده

شفيعه المصطفى والخل معسول

ويمحض الزور عن قوم ذوي غرض

قد أنكروها ولب القوم مشـــغول

سيحرمون شآبيب النجاة بها

ويلمسا اليوم وسط النار مرذول

وقلت في رثائي الحبيبة :

ومن يحلم عند الفجر يصحبـــــــــه

ومن يسكن مغمور القلب ســـــــــيهم

قد قام مستظلاً مستشفعاً رجلاً

عند المقام وألقى قول معتصم

" يا خير من دفنت بالقاع أعظمه "

فطاب منها ربوع القاع والأكـــم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكـــــنه

أهل العفاف وأهل الجود والكـــرم

جاء الرسول إلى العقبى بأمته
نعم الكريم عليه ثوبة الكـــرم

هو الشفيع لمن صلى عليه إذا
خفت موازينه في الموقف الأزم

يفوق عشر صلاة منه أودعـــها
بعشر الحسنات حـــق محـــتكم

ألست تعرف يا هذا نبيـــكم
ألست تدري شفيع الرسل والأمم

من لم يصل عليه لم يجد سندا
ولا شفيعـــا له من عقدة البكم

على التشفيع نعمى عنه من خلقوا
ومن يشـــفع فيهم والسفين لم[1]

وعد ما كان أو يكون في قدر
وكل ما لم يكن في عالم العدم

---

(١) لعله .. أي [illegible]
[illegible]

الرسول ﷺ مع زوجاته

إن الرسول ﷺ تزوج كما هي عادة الرسل من قبله في الزواج وإنجاب الأولاد، وهو ليس إلا بشرًا يجري عليه كل ما يجري على البشر، وفضله عليهم هو نزول الوحي عليه لتبليغه للناس.

قال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية﴾ [١]. وأمر سبحانه أن يقول: ﴿إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾ [٢].

وقد تعددت زوجاته ﷺ، وكان ذلك لحكمة لا للشهوة كما يزعم بعض المستشرقين وأشباههم من أعداء الأنبياء والمرسلين. قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا﴾ [٣]

وقد تعددت زوجاته ﷺ بعد أن صار كبير السن وتخطى عمره الخمسين. وجميع زوجاته ثيبات (أرامل) ما عدا السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ فهي الوحيدة التي كانت بكرًا.

وأول زوجاته هي السيدة خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ وقد تزوجها أرملة وكانت سنها أربعين سنة، ولقد كانت نعمة معينة عاقلة ذكية

---

(١) الرعد: ٣٨.

(٢) الكهف: ١١٠.

(٣) الفرقان: ٣١.

أعانته في تبليغ الدعوة . وكانت أول من آمن به من النساء. وقد عاشت معه خمسا وعشرين سنة من عمره لتصير سنه عند وفاتها خمسين عاما .

وجاء زواجه ﷺ بالسيدة عائشة والسيدة حفصة تمكنة لأبويهما في الإسلام ، وقد تزوج أغلب نسائه ﷺ لتأليف القبائل وجمع الشمل حوله مثل السيدة جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق ، وقد أسلم من أجلها عدد كبير من بني قومها ، كما كان زواجه بالسيدة أم حبيبة (رملة بنت أبي سفيان) لمكانة أبيها في قومه وكذلك السيدة زينب بنت خزيمة أرملة الشهيد عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب والسيدة زينب بنت جحش لسبب خاص وهو إبطال عادة التبني ، والسيدة صفية بنت حيي بن أخطب والسيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية لأن أهلها أرادوا الرسول ﷺ ومصاهرته والسيدة سودة بنت زمعة وكانت تبلغ من العمر خمسة وخمسين عاما ، والسيدة هند أم سلمة المخزومية التي هاجرت مع زوجها . ثم استشهد في غزوة أحد ، وفي حجرها أيتام لها .

وقد أكرم الله تعالى هؤلاء الزوجات أمهات المؤمنين بصحبة رسول الله ﷺ وكان عادلاً في قسمه بينهن ، اللهم إلا في الميل القلبي الذي لا يملكه ، وهو يضرب المثل في العدل بينهن ، وقد كن خير معين لتبليغ الدعوة ولا سيما في الأمور الدقيقة التي تسأل عنها النساء ، وكن يمثلن لجنة التعليم لأحكام الشريعة والكشف عن حياة الرسول ﷺ وما يتعلق من الوحي كأحكام الحيض والنفاس والجنابة والأمور الزوجية وغيرها من الأحكام ولا سيما المسائل التي يغلب فيها حياء المرأة .

وكان بيت النبي ﷺ وزوجاته مثال الطهر والعفاف والقناعة والرضا بالقليل من متاع الدنيا ، ويوم حدثت بعضهن أنفسهن كيف يكن أزواج رسول الله ﷺ ولا يستمتعن بمتع الدنيا مثل غيرهن من النساء ، نزل قوله تعالى: ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما ﴾[1] . وكانت جاءت لهن هذه التعاليم فالتزمن بها ولم يردن مفارقة الرسول ﷺ ، ورضين بالله ورسوله وبما لدى الرسول من مال وإن كان قليلاً ، فكان يمضي الشهر أو أكثر منه ولا يوقد في بيته نار .

وكن على ما أراد الله لهن ملتزمات بالطاعة الخالصة لله تعالى ورسوله ﷺ وعمل الصالحات والالتزام بآداب الإسلام وأحكامه الخاصة بطهارة بيت النبوة الذي يجب أن يبعد عن الريب ، وكن ملتزمات بأداء حقوق الله تعالى من الصلاة والزكاة وغيرها من العبادات والعمل بالقرآن الكريم والسنة الشريفة ذلك الوحي الذي يتنزل في بيت النبوة .

وكن قانعات بما قسم الله لهن ، مكتفيات بشرف الزواج من الرسول ﷺ وكان الرسول ﷺ معهن في تعاون أسرى يسعى أن يتأسى به كل مسلم ومسلمة ، فعندما سئلت السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ : كيف كان النبي ﷺ في بيته ؟ قالت : كان يكون في مهنة أهله ، فكان يعاونهن في بعض الأمور ، ويتولى بعضها بما يحفظ للبيت النبوي كرامته وهيبته ، ويضرب المثل لنساء المؤمنين أن يقتدين بزوجات النبي ﷺ في سلوكهن وملبسهن ومطعمهن ومسكنهن وحسن المعاشرة الزوجية .

---

(1) الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩ .

دور أمهات المؤمنين في التاريخ الإسلامي وكيف أثرن في تشكيل الكيان الأسري الإسلامي

شهد البيت النبوي الكريم حياة زوجية كانت لها آثارها الساطرة؛ فكل زوجة من أمهات المؤمنين أسهمت بنصيب في تشكيل بناء الزوجية المثلى وإمداد الرسول بما زاده في سبيل أداء رسالته بزاد قوي في مسيرة الأزواج ومصالحهم وشرائعهم وتوجيههم تجاه بعض الأمور التي تحفظ على بيوت الزوجية وعلى أداء الرسالة، وكان النبي ﷺ مثال النبي والرجل الذي يجمع بين صفات الرجل وما يتصف به في علاقاته مع زوجاته وبين تنفيذ تعاليم الله التي أوحاها إليه لتبليغها للناس، ولذلك تعتبر هؤلاء الأزواج قدوة حسنة ومثلاً يحتذى لنساء المؤمنين على مر الأزمان.

كانت زوجاته سنداً وعوناً في الشدائد والمحن، وكان منهن بدءاً من السيدة خديجة ــ رضي الله عنها ــ التي آزرته حين نزل عليه الوحي في لحظة الفتور، فقالت له مشجعة ومؤيدة: (**كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكَلّ وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق**) وتهدئ روعه وذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل الذي بشره بأن هذا هو الناموس الذي نزله الله على موسى.

وكانت زوجاته ﷺ معه في غزواته ومشاهده يخدمنه بالرأي والمشورة ويشجعنه على أداء رسالته.

وضربن المثل في التقشف والزهد في زخارف الدنيا ورضين بحب الله ورسوله وبما وعدهن به عنده من النعيم المقيم: ﴿ **يا أيها النبي قل**

لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً ﴾ (١) .

وكن قدوة للنساء المؤمنات في الصبر منهن على معاونة الزوج ، وأن يحققن معه مثوبة العيش وأن يشاركنه أعباء الحياة الزوجية بكل صعوباتها وآلامها وأن يكن معه في السراء والضراء وأن يقمن بالمسئولية الملقاة على عاتقهن كزوجات صالحات كريمات واصلات للأرحام وداعيات إليه كما كانت حفصة أم المؤمنين الصوامة القوامة ، وكما كانت زينب بنت خزيمة تسمى أم المساكين لرحمتها إياهم ورفقها عليهم . وزينب بنت جحش الزاهدة في المال الموصوفة بالكرم ـ أيضاً ـ وكانت صالحة قوامة صوامة صناعاً تدبغ وتخرز وتتصدق بذلك كله على المساكين .

وفي الصحيح من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن بعض أزواج النبي ﷺ قلن للنبي ﷺ : أينا أسرع بك لحوقاً ؟ قال : " أطولكن يداً " فأخذوا قصبة يذرعونها فكانت سودة أطولهن يداً . فعلمنا بعد أنها كانت زينب بنت جحش لطول يدها في الصدقة وكانت أسرعهن لحوقاً به وكانت تحب الصدقة .

وفي المسافة مع الرسول ﷺ ، قالت صفية بنت حيي بن أخطب للرسول ﷺ في مرض موته : والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي فغمزنها كل من أزواجه إلا أن غمزن بصرهن فيها وأعين إلا أن قال ﷺ :

---

(١) الأحزاب : ٢٨ ـ ٢٩ .

متمضمض ، فقلن : من أي شيء ؟ فقال : من تقاضيكن بينها ، والله إنها لصادقة .

ومنعت أم حبيبة بنت أبي سفيان أباها — وهو كافر — أن يجلس على فراش النبي ﷺ حين جاء مفاوضاً في المدينة قبل فتح مكة ولما سألها في ذلك قالت له : لا يجلس على فراش النبي مشرك .

وكن عالمات وذوات فقه وأدب عنه ﷺ كما كانت السيدة عائشة — رضي الله عنها — وحفصة — رضي الله عنها — وغيرهما من زوجاته ﷺ إلى غير ذلك من صفاتهن الفاضلة وسلوكهن المحمود الذي تضرب به الأمثال وتتحدث عنه وتتعلم نساء المؤمنين ويكفي أن يقول الله تعالى فيهن : ﴿ يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا * وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ [1].

---

(1) الأحزاب : ٣٢ — ٣٣ .

الباب الرابع

سنتـــــــه ﷺ



مكانة السنة والعناية بها

للسنة مكانة عظيمة في نفس كل مسلم لأنها المصدر الثاني من مصادر التشريع، وكما أن كل مسلم مطالب بنشر القرآن الكريم وإذاعته في الناس، ومطالب بنشر سنة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فإن العلماء والأئمة بصفة خاصة والمسلمين بصفة عامة مطالبون بذلك.

وقد بذل السابقون من العلماء جهودهم وعنايتهم في جمع السنة ونشرها في الناس، وأفنوا حياتهم في ذلك، وعلينا أن نسير على منوالهم، ونقتدي بهم في نشر السنة، وإذاعتها في الناس جميعا.

والإسلام يأمرنا بتوجيه الناس، وتبصيرهم بطريق الله عز وجل: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾[1]. ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾[2]

ونشر السنة النبوية واجب ديني وعلمي وأخلاقي، أما أنه واجب ديني فإن المولى سبحانه يأمرنا باتباع نبيه والأخذ بسنته ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[3]. ﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾. ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾[4].

---

(1) يوسف: 108.

(2) الأنعام: 153.

(3) النساء: 80.

(4) آل عمران: 31.

﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ [1].
﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [2]. ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [3].

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن ما جاء به الرسول ﷺ هو طريق الهداية والاستقامة وصلاح الأمور. وهذا ما أراده المولى عز وجل النص ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ [4]. ونأخذ نصه مثلاً. ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم * صراط الله ﴾ [5] ثم بين الله تعالى أن شأنه أن يبلغ الناس رسالة ربه ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا * وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ﴾ [6] وقال: ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما ﴾ [7].

---

(١) الأنفال : ٢٤.
(٢) النساء : ٦٥.
(٣) الحشر : ٧.
(٤) النور : ٥٤.
(٥) الشورى : ٥٢ ـ ٥٣.
(٦) الأحزاب : ٤٥ ـ ٤٧.
(٧) الفتح : ١٠.

وهكذا تتضافر النصوص القرآنية مؤكدة على اتباع الرسول ﷺ، وداعية إلى قبول ما جاء به، واتباع هديه ونشر دعوته وسنته، وأن الذين لا يستجيبون لهذا الاتباع للنبي الكريم مهددون بالخسران والبوار ﴿ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ [1]، فمن أعرض عنها مستخفاً أو جحوداً وعناداً خرج عن الإيمان.

وفي السنة النبوية كثير من الأحاديث التي تحض على نشر سنة الرسول الكريم، ووجوب إشاعة فيما جاء به.

ومن ذلك ما رواه أبو داود والترمذي عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ قال: [نضر الله وجه امرئ سمع مقالتي فحفظها ووعاها، فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع].

وفي خطبته ﷺ في حجة الوداع طلب من الحاضرين أن يبلغ الشاهد منهم الغائب. فقد ورد فيها: [ألا هل بلغت اللهم فاشهد. ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب]، وفيها يقول أيضاً: [إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم، ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروا، إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا، كتاب الله]، ويتضمن ذلك حثه ﷺ على الاعتصام بالسنة.

وهذه دعوة إلى نشر سنته والتمسك بها، ويكفي دعوة الرسول ﷺ لمن يبلغ سنته بالنضرة والبشاشة في الوجه والسعادة على هذا العمل الجليل.

---

[1] آل عمران ٣٢

كما أن الدار الآخرة التي يصير فيها الإنسان مرهونة بطاعة الرسول الكريم ، فمن يطعه نال الرضوان والجنة ، ومن عصاه حل عليه العذاب . قال عليه الصلاة والسلام ــ فيما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ــ [كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى . قالوا يا رسول الله : ومن يأبى ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى]

ونشر السنة وبعث أخلاقها ؛ لأنها طريق لنشر الخير ، والمثل الكريمة التي تحقق المجتمع من الفضائل والمحامد . فهي وعاء تكمن فيه شريعة الله من عبادات ومعاملات وسلوك عند [illegible] ، قال عليه الصلاة والسلام : [إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق] . والمقصود بالأخلاق هنا ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها حين قالت : [كان خلقه القرآن] على معنى أن المقصود بالأخلاق ليس المفهوم الشائع فحسب . ويعني [illegible] الأخلاق هي [illegible] أنواع السلوك [illegible] وإنما المقصود بالأخلاق في الحديث هو المعنى الشامل لكل ما ورد في الشريعة ، مما جاء في القرآن والسنة .

ولا شك أن الرسالة المحمدية مكملة لما جاء به الرسل الكرام من [illegible] في العقائد والمعاملات وغيرها . ويبين ذلك حديثه عليه الصلاة والسلام : [إنما مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا ، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون حول البيت ، ويعجبون به ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين]

والنبي ﷺ جاء لينقذ البشرية من عثراتها كما قال : [إنما أنا آخذ **بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها**] .

ونشر الدعوة واجب وطني ، ويتم نشر الدعوة بطرق الاستقامة على طريق الله ، فيستقيم الفرد ويستقيم المجتمع ، ويتربى على الفضائل ، ويبتعد عن الرذائل ، ولو أردت معرفة مبدأ الصحيح وجدته دائماً في علاقته في نشر القرآن والسنة ، والخطب والمواعظ التي نجدها في كتاب الله ، وسنة رسوله عامة ، وخاصة الإرشاد الدائم إلى حقيقة دينهم وتعليمهم أوامره ونواهيه ، وتطبيقها في المجتمع ، من صلاة وصيام وزكاة وحج ، وغير ذلك من المعاملات ، كالصدق والأمانة والمحبة والتعاون ، ونبعد عن الغش والكذب ، لذلك يستطيع أن يأخذ منه في خطبه ودروسه ومواعظه ، فالقرآن والسنة وما فيهما من التعاليم الإلهية المتينة يرفع بها من السلوك الفردي والجماعي ، ويقضي على شر المجتمع ، ويعلم كل إنسان ما يجب عليه من إتقان العمل ، والإخلاص فيه ، ويقلل المفاسد ، ويرفع شأن الأمة ، ويستطيع أن يحصر ما يسمى بسبب التراخي والكسل والتقصير في أداء الأعمال الإسلامية بحسب حد الإيمان عند الله ، كما جاء في القرآن والسنة ، ويأخذ منهما الطرق التي تؤدي إلى الطريق الصحيح ليتعلموا ويعلموا مجتمعهم ، ويتخلص من الأمراض والأدواء التي تترسب فيه نتيجة نشر الإلحاد والانحلال والانحراف عن مبادئ الدين وشعائره ، فالدعوة تقضي على المفاسد ، وتدعم القيم ، مما يؤدي إلى نشر المجتمع ، ويدعو في المجتمع إلى مبادئ العمل والخير

حجية السنة وتوثيقها ترد على الطاعنين في الحديث بغير علم

لقد حظي الحديث النبوي الشريف بعناية فائقة ووضعت القواعد والأصول التي على أساسها يطلب الحديث ويؤخذ ممن اتصف بالعدالة والثقة في لفظه ومعناه وإسناده وروايته بمعرفة الصحيح والثابت وحفظه كما ورد ونقل ، فلم يسمح العلماء أن يدخل فيه ما ليس منه وأعدوا الأوعية التي حفظته وحافظت عليه أن تشوبه شائبة تعكر صفائه ونقائه وصحة ما ورد منه في الكتب الصحاح .

إن الذي يريد أن يطلب الحديث ويمتلك أدوات الوصول إلى معرفته لابد أن يتسلح بصفات عالية تؤهله لذلك .

ـ ألا يدخل إلى حرم حديث رسول الله ﷺ إلا عن طريق التعلم على شيوخ الحديث في بلده التي يقيم فيها فيقرأ عليهم ويسمع عليهم ، ثم لا يقتصر على ذلك بل عليه أن يسافر إلى بلاد أخرى فيتلقى الحديث عن كبار الشيوخ

لقد لوحظت دقة متناهية فيما سبق في جمع الحديث وروايته ، فكبار العلماء منهم سمعه الحديث عن عمر رضي الله عنه ، فلا يقنعه حتى يخرج إلى عمر فيسمعه منه .

ـ أن يأتي طالب الحديث لا مستحياً للعلم ولا مستكبراً ولا متكبراً عن التزود منه فقد قال مجاهد رضي الله عنه : " لا يتعلم العلم مستحي ولا متكبر " .

ـ أن يكون محترماً لشيوخ الحديث مبجلاً لهم ، لأن من خرج على جلة الشيوخ ولم يخلص لهم جانبه دخل الشيطان إليه فحرم الانتفاع بالعلم .

ـ ألا يقتصر طالب الحديث على سماع الحديث وكتابته دون معرفته وفهمه فلا يقتصر على مجرد النظر دون وعي أو فهم لأنه لا يكون بين رجال الحديث إذا اقتصر على النظر السريع بالكتابة دون فهم .

ـ لابد أن يكون على دراية بعلم الرواية ، والدراية أن يتعلمه ويحيط بقواعده وأسراره .

ـ أن يعني بالحفظ والفهم لما ورد من الحديث في الصحيحين ـ البخاري ومسلم ـ وسنن أبي داود وسنن النسائي وجامع الترمذي وسنن ابن ماجة ليضبط مشكلها ويفهم ما خفي من معانيها ، كذلك يكون على معرفة بكتاب السنن الكبرى للبيهقي وكتب المسانيد كمسند أحمد وكتب الجوامع مثل موطأ مالك وكتب علل الحديث ككتاب العلل لأحمد بن حنبل وكتاب العلل عن الدارقطني ، وكتب معرفة الرجال وتواريخ المحدثين ومن أفضلها (تاريخ البخاري الكبير) وكتاب (الجرح والتعديل) لابن أبي حاتم ، وكتب الضبط لمشكل الأسماء مثل (كتاب الإكمال لأبي نصر بن ماكولا) .

فيبحث عن علم الأسماء والمشكل ويحفظها في قلبه ويعيه ويذكره .

ـ أن [illegible] .

ـ أن يكون [illegible] التي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] .

ـ [illegible]
[illegible] في الإحاطة [illegible] .

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] .

[illegible]
[illegible] **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم**
فوق صوت النبي [1] [illegible]
[illegible] .

[illegible]

— ولا يوجد من الشيوخ من هو أعلم منه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

— [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وكيف يجوز لأمثال هؤلاء أن يحكموا على الحديث بالقبول أو الرد أو التضعيف وليس معهم من هذا العلم شيء لا علامة ولا مصطلحين ، إذا كان لابد من عدة المعرفة الدقيقة وهي مفقودة لديهم ولم يجهدوا أنفسهم لدرسها ولم يعرفوا شيئاً عنها بل لا يمكنهم أن يرجعوا إلى أحد كتبها ومراجعها فماذا يفعل هؤلاء ؟ هل يعتمدون على أنفسهم أنهم من أهل العلم ؟ أو على أساس أنهم دخلوا في مجال ليس لهم فيه سند ولو ادعاء ، ولماذا يتصرفون بما لا يعرفون ؟ ويتصايحون بغية النيل من هذا البناء الشامخ . هل عندهم شيء من أصول تعلم هذا العلم أو تعليمه حتى يجوز بعضهم على المناداة بإلغاء السنة باعتبارها المصدر الثاني من مصادر التشريع أو تضعيف أحد أمهات كتبها التي لا ترقى إليها أيديهم ولم تقع عليها عيونهم إلا لمجرد ذكر الأسماء ؟ وليتهم عرفوا أسماءها فقط . إنهم لا يعرفونها ويدعون المعرفة دون أدنى أو أوضح دليل . حسبهم أن يتركوا المجال لأصحابه وأهله ، أو نقول : « ذرهم في خوضهم يلعبون » (١).

---

(١) الأنعام : ٩١

الرد على منكري السنة النبوية المطهرة

يرى بعض الزاعمين إنكار السنة اكتفاءً بالقرآن ، وردوا السنة المتواترة منها والآحاد ، وعبر عن رأيهم أحد الكاتبين قائلاً : إن المصدر المعتمد في جميع أمور الملة هو القرآن المجيد نحتكم إليه في كل صغيرة وكبيرة ، وما تناقض في كتب السيرة مع القرآن لا نأخذ به وكذلك ما تناقض في كتب الحديث مع القرآن ، فالله تعالى حفظ القرآن من التحريف ، ولم يقل لنا رب العالمين إنه حفظ كتاب البخاري أو غيره من كتب السيرة ، وما يقوله البخاري وهو مناقض للقرآن لا يلزمه في شيء ، فقد امتلأت - في زعمه - كتب السيرة بالموضوع والمدسوس من الأحاديث والعجيب والمنكر من الإسرائيليات [1] .

واعتبروا بعض آيات القرآن الكريم بحسب أوهامهم الكاذبة دليلاً على زعمهم مثل قوله تعالى : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾ [2] ، وقوله تعالى : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ [3] .

---

(1) الأهرام - أول مايو ١٩٩٦م .

(2) النحل : ٨٩ .

(3) الأنعام : ٣٨ .

ونزعم أن الآيتين لا تنفيان السنة لأن: (أ) أن القرآن تبيان لكل شيء [illegible]
أنه يوضح أمور الدين [illegible] والمراد بالكتاب في الآية الثانية اللوح المحفوظ لأن فيها: ﴿وما
من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾[1] ... ما
يتعلق بهذه المخلوقات من آجال وأرزاق وأعمال وحصر ذلك كله في اللوح
المحفوظ [illegible] في القرآن [illegible] بالكتاب في الآية [illegible] المفسرين
على فهم [illegible] من شيء [illegible]
على طريق الإجمال عنها.

واستدلوا [illegible] حديث [illegible] على [illegible]
[illegible] كتاب الله [illegible] وافق كتاب الله فأنا قلته، وإن خالف كتاب الله فلم أقله
[illegible]، وكيف أخالف كتاب الله وبه هداني؟" وهذا الحديث قال عنه الحافظ
ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: "قال عبد الرحمن بن مهدي:
الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث، وقد عارض هذا الحديث قوم من
أهل العلم وقالوا: نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شيء ونعتمد
على ذلك. قالوا: فلما عرضناه على كتاب الله وجدناه مخالفاً لكتاب الله
لأنا لم نجد في كتاب الله ألا يقبل من حديث رسول الله ﷺ إلا ما وافق
كتاب الله، بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسي به والأمر بطاعته ويحذر
من المخالفة عن أمره جملة على كل حال"[2]. [illegible]
[illegible] إن هذا الحديث موضوع؟

(1) الأنعام: ٣٨.
(2) جامع بيان العلم وفضله [illegible]

والرسول ﷺ [illegible] هؤلاء المشككين في [illegible]
[illegible]

[illegible]

إنكارها بإجماع الأمة ، ومنكرها كافر يدل على ذلك الآيات والأحاديث الصحيحة .

يقول تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [١] ، ويقول سبحانه : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [٢] .
ويقول عز حكمه : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ [٣] .
ويقول جل ثناؤه : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ [٤] .

ويقول جل شأنه : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ [٥] .
ويقول سبحانه : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [٦] .

---

(١) الحشر : ٧ .
(٢) النساء : ٨٠ .
(٣) الأحزاب : ٢١ .
(٤) آل عمران : ٣١ .
(٥) الأحزاب : ٣٦ .
(٦) النور : ٦٣ .

ويقول عز من قائل : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ [1] .

ويقول الرسول ﷺ في حديثه المتواتر : (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) .

ويروي أبو داود والترمذي وابن ماجة عن المقدام بن معد يكرب أنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله " .

وفي رواية (يوشك رجل منكم متكئاً على أريكته يحدث بحديث عني فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه- ألا وإن ما حرمه رسول الله ﷺ مثل الذي حرم الله) .

ويروي ابن عبد البر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : " ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه ، ولا من فاسق بين فسقه ولكني أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن حتى أذلقه بلسانه ثم تأوله على غير تأويله " .

---

(١) النساء : ٦٥ .

وعن مكحول قال ﷺ: "أوتيت القرآن ومثله معه" (1).

وعن حسان بن عطية قال: "كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن" (2).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله" (3)، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله، فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول، قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ (4)، قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه (5).

---

(1) [illegible]

(2) [illegible]

(3) المصدر [illegible]

(4) [illegible] ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [illegible]

وقال عمران بن حصين لرجل قرنه إذ يقتصر علـــى القـــرآن ، إن
أتبعه : إنك امرؤ أحمق أتجد في كتاب الله الظهر أربعاً لا يجهر فيها
بالقراءة ؟ ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا ثم قال : أتجد هذا في
كتاب الله مفسراً ؟ إن كتاب الله أبهم هذا ، وإن السنة تفسر ذلك .

وفي رواية : (أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد
فيه صلاة الظهر أربعاً وصلاة العصر أربعاً ، والمغرب ثلاثاً تقرأ في
اثنتين ؟ أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد الطواف
بالبيت سبعاً ، والطواف بين الصفا والمروة ؟) .

وفي هذا رد على كل من يتهجم على السنة ويتجرأ على المحدثين ؛ إذ
كالبخاري ومسلم وغيرهما ممن حفظوا السنة وعملوا على جمعها . فمن
يهجم عليها وعليهم خرج عن الإسلام ، وانساق في الكفر والضلال
والخسران ، وكذلك كل من يعبر عنها بألفاظ ينبغي أن تعبر بحقيقة معنى
فكل هذه الألفاظ المنطقية والسلوكية مردودة على أصحابها المحدثين

منزلة السنة من القرآن والتشريع

منزلة السنة من القرآن :

السنة هي المصدر الثاني – بعد القرآن الكريم – للإسلام باعتبـــاره عقيدة ، وباعتباره تشريعاً وأخلاقاً .

تفسر السنة أموراً :

١ـ تشرح نص الكتاب [القرآن الكريم] فتبين ما ورد به نص الكتاب كما قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾[1] .

بسلوكه ، وبقوله ، وبإقراره . يقول ﷺ : [ما تركت شيئاً ممـــا أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به ، ولا تركت شيئاً ممـــا نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه] .

٢ـ تفسر السنة النصوص المجملة في القرآن ، فمـــا أجمـــل فـــي القرآن فسرته السنة ، قال تبارك وتعـــالى : ﴿ إن الصــــلاة كـــانت علـــى المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾[2] .

---

(١) النحل : ٤٤ .

(٢) النساء : ١٠٢ .

وقال : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ [1] ، وقال : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ [2] .

ثم بين الحق سبحانه وتعالى على لسان رسوله عدد ما فرض من الصلوات ، ومواقيتها وسننها وعدد ركعاتها ، والزكاة ومواقيتها ، وكيف يؤدى الحج والعمرة ، ولقد كان رسول الله ﷺ يبين كيفية الصلاة بقوله وعمله ، وكان يبين أوقاتها وأركانها ، وعدد ركعاتها وافتتاحها وترتيب حركاتها بعد الافتتاح ، ويقول ﷺ : [صلوا كما رأيتموني أصلي] .

وفرض الله تعالى الزكاة ، ولم يبين مقادير لها ، ولم يذكر بالتفصيل زكاة الزروع والثمار ، والأموال التي تجب فيها الزكاة ، فبين رسول الله ﷺ ذلك كله ، وطبقه .

وبين رسول الله ﷺ مناسك الحج وأركانه وواجباته وسننه ، فيقول : [خذوا عني مناسككم] ، كما بين أركان العمرة ومناسكها .

وبينت السنة أن القاتل لا يرث ، وأن الوصية لا تكون في أكثر من الثلث ، وأن الدين يقدم على الوصية . هذا وكثير غيره مما بينته السنة .

يقول الإمام الشافعي : وسنن رسول الله ﷺ مع كتاب الله وجهان : أحدهما : نص كتاب فاتبعه رسول الله كما أنزل الله .

---

(1) المزمل : ٢٠ .
(2) البقرة : ١٩٦ .

والآخر : جملة بيّن رسول الله ﷺ بسنّة عن الله معنى ما أراد بالجملة ، وأوضح كيف فرضها عامًّا أو خاصًّا ، وكيف أراد أن يأتي به العباد ، وكلاهما اتبع فيه كتاب الله .

وفي كلمة أخرى يبين الإمام الشافعي نوعين كذلك .

أحدهما : ما أنزل الله فيه نص كتاب ، فبين رسول الله ﷺ مثل ما نص الكتاب .

والآخر : مما أنزل فيه جملة كتاب ، فبين رسول الله معنى ما أراد .

٢ـ تخصيص السنة لعموم محكم القرآن :

قال الله تعالى : **﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث ﴾**[1] .

فكان ظاهر هذه الآية يدل على أن كل والد يورث ولده ، وكل مولود يرث والده ، حتى جاءت السنة ببيان المراد بذلك ، مع اتفاق الأئمة بهذا الوالدين والمولودين ، وأنه إذا اختلف الدينان فلا يتوارث ، والعمل على ما وردت به السنة في ذلك ، قال رسول الله ﷺ : **[لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم]** .

---

(١) النساء ، ١١ .

وقال الله تعالى في المرأة يطلقها زوجها: ﴿فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره﴾ [1]، والنكاح يحتمل أن يكون المراد به عقد النكاح وحده، ويحتمل أن يكون المراد به العقد والإصابة معاً. فبينت السنة أن المراد به الإصابة بعد العقد. حيث عرضت امرأة رفاعة القرظي على النبي ﷺ أمرها أن رفاعة طلقها فبت طلاقها فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير، فجاءت رسول الله ﷺ فقالت: إنها كانت عند رفاعة فطلقها آخر ثلاث تطليقات، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير، وتبسم النبي ﷺ من كلامها أنها تريد أن ترجع إلى رفاعة فقال: لعلك [لا، حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته].

وقال تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ [2]. فظاهر هذا النص يوجب القطع على كل سارق سواء كان ما سرقه قليلاً أو كثيراً، ولكن السنة بينت أن المراد بعض السراق، وهو من سرق نصاباً معيناً يوجب القطع وهو ربع دينار فصاعداً، وأن من سرق دون ذلك فلا قطع فيه، لما ثبت عن النبي ﷺ: [تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعداً].

وكذلك قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ [3]. فهم بعض الصحابة العموم فقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال ﷺ: [ليس بذلك إنما هو الشرك].

---

(1) البقرة: ٢٣٠.
(2) المائدة: ٣٨.
(3) الأنعام: ٨٢.

ب- توضيح المشكل : كقوله تعالى : ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ [1] ، فلقد فهم بعض الصحابة أن المراد العقال الأبيض والعقال الأسود ، فقال ﷺ : [إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل] .

وتكون السنة ناسخة لحكم ثبت في القرآن الكريم – على رأي من يجوز نسخ الكتاب بالسنة – كحديث [لا وصية لوارث] فإن هذا الحديث نسخ الوصية للوالدين والأقربين الوارثين الثابت بقول المولى سبحانه : ﴿ كُتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين ﴾ [2] ، على أحد احتمالات تفسير الآية الكريمة ، وكذلك حديث : [البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام] ناسخ لقوله تعالى : ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم ﴾ [3] على وجه تفسيرها أيضاً والأمثلة على ذلك كثيرة .

ويقول علماء الحنفية : كل زيادة على الكتاب تعد من النسخ ، وقد اختلف علماء الأصول في نسخ الكتاب بالسنة على ما هو مقرر في كتب الأصوليين .

---

(1) البقرة : ١٨٧ .
(2) البقرة : ١٨٠ .
(3) النساء : ١٥ .

منزلة السنة من التشريع :

يشرع رسول الله ﷺ عن الله تعالى فيما لا نص فيه من كتاب الله .

روى الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وغيرهم أن رسول الله ﷺ بعث معاذ بن جبل — رضي الله عنه — إلى اليمن فقال له : [كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟] قال : أقضي بكتاب الله ، قال : [فإن لم يكن في كتاب الله ؟] قال : فبسنة رسول الله ، قال : [فإن لم يكن في سنة رسول الله ؟] قال : أجتهد رأيي ولا آلو ، فضرب رسول الله ﷺ على صدره وقال: [الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضي رسول الله] .

وسجلها عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — في رسالته في القضاء إلى أبي موسى الأشعري — رضي الله عنه — والتي بدأها بقوله: "سلام عليك، أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة". يقول عمر في هذه الرسالة: "الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة" .

ونقول: لا بأس أن تستقل السنة بالتشريع ، ويكون مبيناً أيضاً لما في القرآن عن طريق الإجمال والتفصيل، أو بطريق الإلحاق والقياس على ما ورد فيه.

فمثلاً :

— أحل الله الطيبات وحرّم الخبائث ، وهذان قسمان يمكن إلحاق قسم ثالث بأحد الأمرين على حسب قرب شبهه به فيلحق عليه ، فقد نهى النبي ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع ، وكل ذي مخلب من الطير ، ونهى عن أكل لحوم الحمر الأهلية ، وأحل ﷺ الضب والحبارى والأرنب وأشباهها بأصل الطيبات .

ـ اسم الله [illegible] إذا أمسك عليك ، والمفهوم [illegible]

[illegible] ليس [illegible] حرام . ولا أكل [illegible]

النبي ﷺ أنه حرام فقال : [فإن أكل فلا تأكل ، فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه] [1]

ـ اسم الله [illegible] ـ وحرم [illegible]

ـ [illegible] عن ميتة البحر [illegible]

ﷺ [illegible] . [هو الطهور ماؤه الحل ميتته] [2].

ـ [illegible] حكم [illegible]

[illegible] قال ﷺ : [ذكاة الجنين ذكاة أمه] [3]

. [illegible] : ﴿ فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ﴾ [4] . [illegible]

[illegible]

[illegible] .

[illegible]

[illegible] .

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

[3] [illegible]

[4] [illegible]

ـ حرم الله ـ الجمع بين الأختين ثم قال: «**وأحل لكم ما وراء ذلكم**» [1]، ونهى النبي ﷺ عن الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها، فهذه ملحقة بالتحريم، وعلة هذا التحريم: [إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم] [2].

ـ حكم أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ في ميراث الجدة، فلم يجد لها شيئاً في كتاب الله، ولكن لما سأل الناس، شهد المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة أن النبي ﷺ أعطاها السدس.

ـ ولم يكن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يرى أن المرأة ترث من دية زوجها، حتى كتب إليه الضحاك بن سفيان وهو من رسول الله ﷺ على بعض البوادي يخبره أن رسول الله ﷺ [ورّث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها].

ـ لم يكن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يعرف سنة الاستئذان حتى أخبره بها أبو موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ وهي أن الاستئذان ثلاث، فإن لم يؤذن له انصرف.

ـ حرم القرآن الكريم ـ بالرضاعة ـ الأمهات والأخوات «**وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة**» [3]. وبينت السنة محرمات من يحرم بالنسب، كالعمة، والخالة، وبنت الأخ، وبنت الأخت.

---

[1] النساء: 24.

[2] رواه ابن حبان.

[3] النساء: 23.

قال ﷺ : [إن الله حرم من الرضاع ما حرم من النسب] [1] ،
وقال في حديث حسن صحيح . فهذا قياس ينفي الفارق بين الأصل والفرع .

ــ جاءت آيات في القرآن الكريم تدل على عدة أمور جزئية يستقصي
منها معنى عام مثل قوله تعالى : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من
النار ﴾ [2] . ﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ﴾ [3] .
﴿ ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع
أجره على الله ﴾ [4] .

كل هذا حسم معنى الإخلاص في العمل ، وجاء ذلك في الحديث :
[إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى] .

ــ كذلك جملة من الأوامر والنواهي الجزئية يجمعها معنى واحد مثل
قوله تعالى : ﴿ لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ﴾ [5] .
﴿ ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ﴾ [6] ، ﴿ ولا يضار كاتب ولا شهيد ﴾ [7]
حسم هذا كله قوله ﷺ : [لا ضرر ولا ضرار] .

---

(1) أخرجه الترمذي .
(2) النساء : 145 .
(3) النساء : 142 .
(4) النساء : 100 .
(5) البقرة : 233 .
(6) الطلاق : 6 .
(7) البقرة : 282 .

ـ جاء سد الذرائع في آيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ [1] ، ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ﴾ [2] . جاء على ذلك قوله ﷺ : [من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه] و [دع ما يريبك إلى ما لا يريبك] .

فالسنة بذلك جاءت مبينة وموضحة للقرآن .

والآيات كثيرة على وجوب طاعة الرسول ﷺ ، وأن طاعته من طاعة الله .

ويمكن أن تأتي السنة بأحكام لم يتعرض لها القرآن على جهة الاستقلال ، ولا خلاف بين من يرى أن ما جاء في السنة موضح للقرآن - ومن قال : إن بعض الأحكام قد تأتي استقلالاً ، لأن الثاني يرى أن نصوص الأحكام هو سر هذا القول بالاستقلال ، والأول يرى أن الأحكام جاءت مجملة ففسرتها السنة .

وما يطلق على الأحكام الشرعية يطلق على غيرها من الأمور مما ورد موضحاً ، أو شارحاً أو مستقلاً .

---

(1) [illegible]
(2) [illegible]

الحديث والسنة

أولاً : الحديث :

في اللغة ضد القديم، ومن معانيه : الكلام [illegible] الإنسان عن طريق السمع، أو الوحي في يقظة أو منام. وقد جاء بهذا المعنى في القرآن الكريم في مثل [illegible] : ﴿ ومن أصدق من الله حديثا ﴾[1] وقوله [illegible] : ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾[2]، ومن ذلك [illegible] : ﴿ وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا ﴾[3] [illegible] : ﴿ ويعلمك من تأويل الأحاديث ﴾[4].
[illegible]

[illegible] الحديث [illegible] أهله
[illegible] نفسه

---

(1) [illegible]
(2) [illegible]
(3) [illegible]
(4) [illegible]

والحديث في اصطلاح المحدثين :

ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة حتى صفاته ﷺ

ويدخل فيه – عند جمهور المحدثين – ما أضيف إلى غير النبي ﷺ أو الصحابي أو التابعي ، وعلى هذا يشمل ما أضيف إلى النبي – وهو الحديث المرفوع – وما أضيف إلى الصحابي – وهو الحديث الموقوف – وما أضيف إلى التابعي – وهو الحديث المقطوع . والمرفوع قولاً ما نقل من كلامه الذي تضمنته كتب الحديث الصحاح ، كالبخاري ومسلم وغيرها ، كالذي نقل عنه ﷺ قوله : [**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**] أي أنه إنما يجازى المرء على نيته في عمله وفي غير ذلك . وهذا يشمل ما كان مرفوعاً أو موقوفاً على الصحابي ، أو مقطوعاً إلى التابعي . والمرفوع فعلاً ما نقل إلينا من صلاته وصيامه وزكاته وحجه : كيف كان يصلي ويصوم ويزكي ويحج وكيف علّم أصحابه ذلك ، كما قال عليه الصلاة والسلام : [**صلوا كما رأيتموني أصلي**] وكما قال عليه الصلاة والسلام : [خذوا عني مناسككم] وقد ورد أن النبي ﷺ صلى على المنبر ليعلم أصحابه . وفي حجة الوداع أوضح صورة للحج والمناسك فيه ، وما عدا ذلك من أركانه وغير ذلك ، كالعلوم والسنن والوقوف بعرفة ورمي الجمار والحلق [illegible]

وكيف يكون كل ذلك بوضوح كامل، ويشمل فعله ﷺ كل ما يصدر عنه من سلوك وعمل يدخل في نطاق التشريع لأمته .

والمراد بالتقرير ما أقر النبي ﷺ أصحابه عليه من أقوال وأفعال ، فإذا صدر كلام من أحد الصحابة ، أو صدر عنه فعل من الأفعال ، ورآه النبي ﷺ أو علم به ، فأقره عليه فهو من الحديث النبوي ، ويشمل هذا ما أقره النبي ﷺ بالكلام ، بأن استحسنه . أو ما أقره بالسكوت ، مع ظهور علامة الرضا والقبول ، أما ما لم يصحبه رضا أو قبول فلا يعد إقرارا من النبي ﷺ .

ومن الذي أقره الرسول واستحسنه ما روي عن أبيّ بن كعب في حديث : أنزل القرآن على سبعة أحرف .

فقد روي أن أبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال : دخلت المسجد أصلي ، فدخل رجل ، فافتتح النحل ، فقرأ فخالفني في القراءة ، فلما انفتل من صلاته قلت : من أقرأك ؟ قال : رسول الله ﷺ ، قال : فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كنت في الجاهلية ، ثم جاء رجل ، فقام يصلي ، فقرأ وافتتح النحل ، فخالفني وخالف صاحبي ، فلما انفتل من صلاته قلت من أقرأك ؟ قال : رسول الله ﷺ قال : فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كنت في الجاهلية ، فأخذت بأيديهما فانطلقت بهما إلى النبي ﷺ ، فقلت : استقرئ هذين ، فاستقرأ أحدهما وقال : أحسنت ، فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كنت في الجاهلية ، ثم استقرأ الآخر وقال : أحسنت ، فدخل صدري من الشك والتكذيب أشد مما كنت في الجاهلية ، فضرب رسول الله ﷺ صدري بيده ، وقال : [أعيذك بالله يا أبيّ من

الثالثة ، ثم قال : إن جبريل عليه السلام أتاني فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : اللهم خفف عن أمتي ، ثم عاد فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين ، فقلت : اللهم خفف عن أمتي ، ثم عاد فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف] [1] . فهذا ما أقره الرسول واستحسنه من قراءة هؤلاء فهو داخلاً في حديثه ﷺ .

ومن ذلك الإقرار ما حدث في غزوة الأحزاب حين انتهت بالنصر للمسلمين ، وقال الرسول ﷺ : [لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة] ، وقد كان ما كان من اليهود من محاولة نقض العهد ، وأراد الرسول – بأمر ربه – أن يلحق بهم سريعاً ، ليقضي الله حكمه فيهم ، وقد أدركت صلاة العصر بعض الصحابة في الطريق فاختلفوا ، فبعضهم تمسك بلفظ الرسول ﷺ ، فلم يصل حتى ذهب إلى بني قريظة ، وبعضهم فهم من لفظه ﷺ أن المقصود الإسراع وعدم التواني فصلوا حيث أدركهم العصر ، ثم ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فلم يخطئ أياً من الفريقين ، فكان ذلك إقراراً منه ﷺ بصحة كلا الموقفين ممن صلوا ومن لم .

ومما يدخل في ذلك ما كان يقرهم عليه من المضاربة التي كانوا يتعاملون بها ، وإقراره في الأحد على مثل عمل الحارثين ، وإقراره لهم على أكل الضب على مائدته وقوله لهم : [إنه ليس بأرض قومي] .

---

[1] صحيح مسلم ١/٥٦٢–٥٦٣ ، والنسائي ٢/١٥٢–١٥٤ ، والمسند ج ٥/١٢٧ ، ١٢٨ ، وتفسير ١/١٠ .

والمراد بصفاته ﷺ: ما يشمل صفاته الخلقية مما يتصل بالجانب الجسمي أو الحسي، ويقابل من صفاته الخلقية ما وصفه به علي بن أبي طالب [illegible] من أنه ﷺ لم يكن بالطويل ولا بالقصير [illegible][1].

[illegible] ومن صفاته [illegible] أم معبد: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، مليح الوجه، [illegible] في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، أزج أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنه وأحلاه من قريب، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربعة لا يأس من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، له رفقاء يحفون به، إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفند[2].

ووصفه [illegible] كان [illegible] ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب.

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

ومن ذلك ما روي عن عائشة – رضي الله عنها – : ما خير الرسول بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً (١).

ويدخل في ذلك ما روي في الكتب كثير منها أخبار ﷺ من كتب الحديث والسيرة والمغازي والتفسير، مما كان بعد البعثة أو قبلها، مثل صفته كقول خديجة – رضي الله عنها – له: والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق، ومثل المعروف قبله كان لا يكذب، وصدقه وأمانته، ولعل ذلك مما يستدل به على أحوال النبي من السيرة بجوانبه ومسلكه، ولهذا يدخل كثير من كتب سيرته.

ثانياً : السنة :

في اللغة: السيرة والطريقة، كما قال الشاعر:

ولكل قوم سنة وإمامها

وقال الهذلي:

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها

فأول راضٍ سنة من يسيرها (٢)

(١) رواه [illegible]

(٢) [illegible]

وقال تعالى : ﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ﴾ [1] .

وقال سبحانه وتعالى أيضاً : ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ [2] ، وفي الحديث [من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة] [3] . والمراد أنه عملها حتى يقتدى به غيره .

والسنة في اصطلاح العلماء : يختلف مفهومها بين المحدثين [4] والأصوليين [5] ، والفقهاء [6] .

فالسنة – عند المحدثين – مرادفة للحديث بمفهومه الشامل ، أي هي : ما أضافه النبي ﷺ من طريقة مشروعة لأمته ، بقوله أو فعله أو تقريره . أو ما أثر به النبي ﷺ ، أو نهى عنه وندب إليه قولاً وفعلاً وتقريراً .

---

(1) الإسراء : 77 .

(2) آل عمران : 137 .

(3) رواه مسلم .

(4) هم معنيون بنقل الصحيح عن رسول الله ﷺ .

(5) هم معنيون بصنعة التفكير الشرعي .

(6) هم معنيون بالبحث في الأحكام الشرعية ، كالوجوب والحرمة والاستحباب والإباحة والكراهة أو غير ذلك .

والسنة – عند الأصوليين – علماء أصول الفقه –: ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير [1].

وهذا هو مناط التشريع.

ويختلف التعريف – هنا – عنه عند المحدثين، إذ لا تدخل في السنة عند الأصوليين صفته ﷺ (الخلقية والخُلقية).

أما السنة عند الفقهاء فهي: ما يثاب على فعله، ولا يعاقب على تركه مما فعله النبي ﷺ، وواظب عليه، مما ليس فرضاً ولا واجباً.

ومن هنا نفهم غرض المحدثين من السنة، وهو معرفة ما كان عليه النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته، وأحواله التي كان يتحلى بها ﷺ، فهو المبلغ عن الله عز وجل، وما قيل عن رسول الله فحسن أن نقل كما يقول الإمام الشافعي.

أما الأصوليون فهمهم بيان مصادر التشريع، والصفات الخلقية لا علاقة بها بذلك.

أما الفقهاء فنظروا إلى السنة من جهة دلالتها على حكم شرعي، وهم يبحثون في أحكام الشرع على أفعال العباد من جهة الإباحة والحظر والندب أو الوجوب، أو السنة، أو الكراهة، إلى غير ذلك.

---

(1) [illegible] عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين [illegible]

وينبغي النظر إلى ما ورد منقولاً عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ، ومعارضة ذلك بما نقل عن رسول الله ﷺ مما هو تطبيق عملياً من مبادئ الشريعة وأحكامها . فإذا تعارض قوله ﷺ (الحديث القولي) مع السنة العملية (الواقع العملي الذي جرى عليه عمل الرسول وأصحابه) فهذا لا غبار عليه . أما إذا كان الحديث القولي مخالفاً للواقع والسنة المعمول بها على عهد النبي ﷺ وأصحابه فهذا التعارض يمكن حسمه بالرجوع إلى القرائن التي ترجح الأخذ ، فيعلم تاريخ قوله ﷺ ، وتاريخ العمل المخالف [illegible] ناسخ أو لا [illegible] المتأخر منه (قولاً أو عملاً) ، وربما لم يعلم المتقدم من المتأخر فتلجأ وسائل أخرى للترجيح ، كالنظر في [illegible] المرجح منهما ، فإذا كان كل منهما صحيح [illegible] ، أو يؤخذ بأحدهما على حسب القرائن الموجودة . وقد كان الإمام مالك - رحمه الله - يعتبر [illegible] المدينة أصلاً [illegible] على النص [illegible] السنة والشريعة .

[illegible]

[illegible]

تبين له أمر علم، ورحمة للمؤمنين ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً ﴾ (1).

أما إذا كان ذلك أمراً خاصاً بالنبي ﷺ فتنتفي له الخصوصية، ولا يصبح عاماً، مثل حل الموهوبة للنبي ﷺ خاصة، فالزواج لابد فيه من المهر الذي يدفعه الرجل للمرأة حال زواجه منها، كما قال تعالى: ﴿ يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن ﴾ (2)، فهو نص على الصبح عاجلاً أو آجلاً، وكان التعجيل بين [illegible]. وقد وهبت بعض النساء أنفسها للنبي ﷺ ونزل فيها قول الله تعالى: ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ﴾ (3)، فهذا الحكم ليس عاماً [illegible] بالإباحة، بل خاص بالنبي ﷺ (4).

---

(1) الأحزاب: 37.
(2) الأحزاب: 50.
(3) الأحزاب: 50.
(4) [illegible]

وقد اختلف العلماء في وقوع النكاح بلفظ الهبة ، فأجازه أبو حنيفة ومنعه الشافعي للاختصاص .

ولا يدخل في القسمة ما نبين بشرح مما هو متعلق بآرائه الخاصة له ﷺ كمسألة تأبير النخل ، فهو ﷺ لما رآهم يلقحون النخل قال لهم : [ما أرى هذا ؟] ، يغني شيئاً ، ثم قال لهم : [إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن ، ولكن إذا حدثتكم عن الله فلن أكذب على الله] ، وقال : [أنتم أعلم بشئون دنياكم أما كان من أمر دينكم فإلي] .

وهو ﷺ لم ينههم عن التلقيح ، لكن هم أخطأوا في ظنهم أنه نهاهم .

* * *

الحديث القدسي [1]

هو الذي يرويه النبي ﷺ على أنه من كلام الله تعالى ، ويسرد بصيغتين يعدلهما — وهي الأشهر — : قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل ، وثانيتهما : قال رسول الله ﷺ ، قال الله تعالى .

والعبارة الأولى هي عبارة كثير من السلف كالإمام النووي — رحمه الله —[2] .

والمعنى في الحديث القدسي من عند الله عز وجل ينزل عليه بطريق الوحي واللفظ للرسول ، وقيل : الحديث القدسي من كلام الله يحكي بلفظه ومعناه ، فالنبي ﷺ يحكيه فقط ، ويترتب ذلك على صحة هذه الأحاديث أحاديث صحيحة أو حسنة أو ضعيفة ، إذ لو كان اللفظ للرسول ما علق عليها ذلك ، وكذلك لو لم تكن الألفاظ من عند الله لم تفترق عن الأحاديث النبوية في شيء ، لأن المعنى في الحديث النبوي موحى به من الله أيضاً ، فكيف نضيف الحديث القدسي إلى الله حينئذ دون الحديث النبوي ؛ أن يقال : قال

---

(1) يسمى هذا النوع من الحديث — أيضاً — بـ (الأحاديث الإلهية) أو (الأحاديث الربانية) . [illegible] والإجلال ، أو التعظيم والتوقير ، كما قال الله تعالى : ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ [illegible]

(2) انظر : قواعد التحديث للقاسمي ، ص 65 .

الله تعالى ، أو قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل ، ويلاحظون ذلك أيضاً بأن الكلام في الحديث القدسي مضاف إلى الله تعالى بضمير المتكلم كأن يقول : [يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي] .. إلخ .

ولكن أصحاب المذهب الأول يرون أن القدسي من عند الله ، واللفظ للرسول ، ومن هو لا ، لم [illegible] في الكتاب ، فهم يقولون [illegible] إلى القرآن لفظه ومعناه من عند الله ، [illegible] الحديث القدسي لفظه [illegible] للرسول ﷺ ، ومعناه من عند [illegible] إلهاماً أو مناماً ، ويقول الطيبي [illegible] اختار هذا الرأي : (القرآن هو اللفظ المنزل به جبريل على النبي ﷺ ، والحديث القدسي إخبار [illegible] بالإلهام أو المنام ، فأخبر النبي ﷺ أمته بعبارة نفسه وسائر الأحاديث [illegible] يضفها إلى الله تعالى ولم يروها عنه تعالى)

ويرى أصحاب [illegible] أن نسبة هذا النوع القدسي من الأحاديث إلى الله تعالى [illegible] [illegible] من الأمور والمعاني .

ومن أمثلة الحديث القدسي ما أخرجه البخاري ومسلم فيما رواه أبو ذر الغفاري [illegible] عن النبي ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل أنه قال : [يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا [illegible] عبادي . كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم . يا عبادي . كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم . يا عبادي : كلكم [illegible] إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي : إنكم تخطئون [illegible] والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم [illegible] إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ،

ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً . يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً . يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر . يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه]

وأخرج الشيخان [illegible] عن أبي هريرة [illegible] عن النبي ﷺ [illegible] [يقول [illegible] تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه] .

[illegible]

الفرق بين الحديث القدسي وبين القرآن :

أ ـ القرآن :

١ـ القرآن موحى به بلفظه ومعناه ، وهو معجز متحدى به إلى قيام الساعة ، ولا تجوز روايته بالمعنى ، ولا تبديل كلمة بكلمة أو حرف بحرف .

٢ـ القرآن متعبد بتلاوته ، يقول تعالى : ﴿ فاقرؤوا ما تيسر من القرآن ﴾ [1]

٣ـ الجملة من القرآن تسمى آية أو سورة .

٤ـ جاحد القرآن كافر ، لأنه متواتر قطعي الثبوت ، وهو أصل شريعة الإسلام .

٥ـ لا يجوز مسه للمحدث ولا تجوز قراءته للجنب .

ب ـ الحديث القدسي :

١ـ الحديث القدسي موحى بمعناه ، وقد يُروى مضافاً إلى الله تعالى نسبة إنشاء ، كأن يقال : [يقول الله تعالى] ، أو نسبة إخبار كأن يقال : [فيما يرويه الرسول عن ربه] ، وليس فيه إعجاز .

٢ـ الحديث القدسي ظني الثبوت ، لأنه منقول عن طريق الآحاد ، وينطبق عليه ما ينطبق على أحاديث الرسول ﷺ من حيث الصحة والضعف ، ويخضع لسلامة النقل عن رسول الله وصحة كتب

---

(1) المزمل : ٢٠ .

٣- تجوز روايته بالمعنى عند جمهور المحدثين .

٤- لا يجزئ في الصلاة .

٥- يجوز مسه وتلاوته لمن لا يجوز لهم ذلك في القرآن الكريم .

٦- تحمل هذه الأحاديث القدسية نوعاً من الموعظة التي تدل على عظمة الخالق ، وسعة رحمته بعباده ، إلى جانب بعض الأحكام التكليفية .

وقد ألفت كتب في جمع هذه الأحاديث مثل كتاب المحدث المناوي (١٠٣١هـ) المسمى (الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية) مرتبة على حروف المعجم ، ولم يذكر أسانيدها ، وقد جمع فيه اثنين وستين ومائتي حديث .

من مصطلحات الحديث النبوي

الخبر والأثر

الخبر لغة: النبأ، وجمعه أخبار، والخبير: العالم، واستخبره: سأله عن الخبر.

والأثر: الخبر، وجمعه آثار، والأثر: بقية الشيء، معناه الشيء الذي يبقى بعده، ومنه قوله عز وجل: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾[1].

وقد اشتهر عند المحدثين الترادف بين الأثر والخبر والحديث، ولهما معنى واحد، فالشامل المرفوع والموقوف والمقطوع، وعليه سمى أبو جعفر الطحاوي كتابه (شرح معاني الآثار) و(مشكل الآثار) ليشمل كل أنواع الحديث.

ولكن بعض علماء الحديث يقولون: إن الخبر والأثر مترادفان، والحديث خاص، فكل حديث يسمى خبرا أو أثرا، وليس كل خبر

[1] يس: ١٢

لا أثر يسمى حديثاً [1]. وبعضهم يرى أن الحديث خاص بما جاء عن النبي ﷺ، والخبر خاص بما جاء عن غيره، ويقال لمن يشتغل بالحديث (محدث) ولمن يشتغل بالأخبار (إخباري).

وبعضهم – كابن الصلاح وابن كثير والنووي – يخص (الأثر) بالموقوف و(الخبر) بالمرفوع [2].

---

(1) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي، ص.

(2) نخبة الفكر للحافظ ابن حجر العسقلاني، ص٣.

الحديث المرفوع والموقوف والمقطوع

الحديث المرفوع :

كل قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو وصف خلقي ، أو خلقي أضيف إلى النبي ﷺ ، سواء أضافه إليه صحابي أو تابعي أو من بعدهما من القرون المتأخرة ، سواء اتصل الإسناد أو لا .

والمراد ما أخبر فيه الصحابي عن قول الرسول ﷺ أو فعله .. إلخ ، كأن يخبر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ، أو قال ، أو كان يفعل كذا ، أو أمرنا بكذا ، أو جرت السنة بكذا ، أو كنا نفعل كذا على عهد رسول الله ﷺ .. إلخ .

وأمثلة المرفوع كثيرة ، ففي الصحيفة الأولى (صحيح) يروي البخاري عن سفيان بن زهير الشنائي ــ رضي الله عنه ــ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : [من اقتنى كلباً لا يغني عنه زرعاً ولا ضرعاً نقص من عمله كل يوم قيراط] .

الحديث الموقوف :

ما يروى عن الصحابة من أقوالهم وأفعالهم ونحوهما ، فيوقف عليهم ، ولا يتجاوز به إلى رسول الله ﷺ .

وهذا النوع إذا كان القول أو الفعل المنسوب إلى الصحابي لا مجال فيه للاجتهاد ، وأن مثله لا يقال من قبل الرأي ، فيعتبر موقوفاً لفظاً ، مرفوع حكماً ، وهو حجة ، كقول ابن مسعود رضي الله عنه : (من أتى ساحراً أو كاهناً — وفي رواية : أو عرافاً — فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) .

وإن كان الحديث الموقوف مما يحتمل أنه صدر عن الصحابي على سبيل الرأي والاجتهاد فهنالك خلاف : هل يحتج به حجة أو لا ؟ .

يرى مالك وبعض الأحناف حجيته مطلقاً ، وفي الجديد عن الشافعي وعن أحمد ، وعامة المتكلمين ما يدل على أنه ليس حجة ، فإن كانت معه قرينة تدل على رفعه فهو حجة بلا خلاف .

الحديث المقطوع :

ما أضيف إلى التابعي ، فمن بعده قولاً له أو فعلاً أو تقريراً ، سواء كان متصلاً أو منقطعاً وخلا عن قرينة تدل على رفعه أو وقفه .

يرى المحدثون أنه حجة ، إذا لم يكن للرأي فيه مجال ، ولا للاجتهاد فيه مدخل .

واختلف فيه الفقهاء ، وأبو حنيفة يرى أن التابعين رجال كأي رجال .

ومن أمثلة الحديث المقطوع . قال سفيان الثوري (لا يستخف بالمصحف ، من أرى شيئاً قبل منه ، وهم يؤذنون حتى ركابهم كتب ويتنبرون على صلاتهم) .

وقد : المقطوع أو المنقطع يستعمل غلطاً في رواية من دون التابعي عن الصحابي مثل سفيان الثوري عن جابر بن عبد الله أو شعبة بن الحجاج عن أنس بن مالك .

الحديث المقبول :

هو المتصل السند برسول الله ﷺ في المرفوع أو بالصحابي .

وأعلى درجاته الصحيح .

وهو الذي توافرت فيه شروط معينة

١ـ اتصال السند برسول الله ﷺ في المرفوع ، أو بالصحابي ، بأن يكون كل راوٍ ، أو كل رجل من رجال الإسناد قد روى عمن قبله وهكذا حتى يصل إلى رسول الله ﷺ .

٢ـ **عدالة الرواة** : ويقصد بالعدالة أن يكون الراوي موثوقاً به في دينه .

٣ـ **الضبط التام** : والمراد ضبط الراوي بأن يكون موثوقاً به في روايته ، حافظاً متيقظاً لما يرويه ، فإن قصر ضبط الراوي عن التمام كان الحديث حسناً لذاته ، وهذا ويحتج به لكنه أقل مرتبة من الصحيح ، وإن كان الراوي ضعيف الضبط لكن له متابعة أو أقوى منه كان الحديث حسناً لغيره .

٤- **عدم الشذوذ** : والشذوذ مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه وأرجح من الرواة الآخرين .

٥- **عدم العلة القادحة** : وما فيه علة قادحة ظاهرة ، مثل أن يروي عن رجل عرف لدى العلماء بأنه لم يجتمع معه ، ولم يسمع منه شيئاً ، وهذه علة ظاهرة ، ومثال علة خفية مثل أن يروي حسن بن حصين ، بكلمة (عن) ولم يسمع منه شيئاً .

٦- **مجيء الحديث من وجه آخر** عند الاحتياج إلى ذلك لتعدد طرقه .

الصحيح على شرط الشيخين :

أن يكون الرجال متصفين بالصفات التي يتصف بها رجال البخاري ومسلم من : الضبط والعدالة وعدم الشذوذ والنكارة والغفلة ، أو أن يكون رواته الثقة المشهود له بذلك

أنواع الحديث الصحيح :

١- **الصحيح لذاته** : ما سلم من الطعن في إسناده ومتنه ، وهو المتصل السند بنقل العدل الضابط عن مثله حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ ولا يكون شاذاً ولا معللاً بعلة تقدح في الصحة .

مثال الصحيح لذاته قول النبي ﷺ : [**من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة**] .

١ـ الصحيح لغيره : هو الحديث الذي اتصل سنده بنقل عدل ضابط ضبطاً غير تام عن عدل ضابط إلى منتهى السند من غير شذوذ ولا علة قادحة ، وتوبع بطريق آخر مساو أو أرجح أو متعدد من طريق في كل راوي ، لأنه لما لم يبلغ درجة الصحة بنفسه احتاج إلى ما يقويه .

ومثال الحديث الصحيح لغيره : عن معاوية بن إسحاق بن طلحة ، عن عمته عائشة بنت طلحة عن عائشة رضي الله عنها ـ أنها سألت الرسول ﷺ عن الجهاد ، فقال : [جهادكن الحج والعمرة] فمعاوية بن إسحاق ربما وهم ، فقوى الحديث بروايته بطرق أخرى

٢ـ الصحيح الغريب : هو الذي ينفرد به بعض الرواة سواء انفرد بالحديث كله أو بشيء منه ، أو في سنده كما قال ابن الصلاح .

وبعض الأحاديث يسمى غريباً متناً وإسناداً ، كما لو انفرد بمتنه راو واحد ، وغريباً إسناداً لا متناً كحديث روى متنه جماعة من الصحابة لكن انفرد واحد بروايته عن صحابي آخر ، وفيه يقول الترمذي غريب من هذا الوجه .

أنواع الخبر :

الحديث المتواتر :

هو الحديث الذي رواه جمع عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب ، أي جمع من التابعين عن جمع من الصحابة كما رووه عن التابعين جمع من تابعي التابعين ، وهكذا إلى نهاية السند ، ولا يشترط عدد معين عند الجمهور .

وهذا الحديث إذا استوفى شروطه يفيد العلم اليقيني الضروري ولا ينكر وجوده ، ويجب العمل به ويحتج به في إثبات العقائد والأحكام الشرعية .

• ومنه متواتر اللفظ عن رسول الله ﷺ كحديث : [من تعمد عليّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار] ، ومنه متواتر المعنى كأحاديث رفع اليدين في الدعاء ، فقد تواترت الأحاديث في هذا المعنى ، وورد نحو مائة حديث فيه .

خبر الآحاد :

يطلق على غير المتواتر مصطلح أحاديث الآحاد .

وخبر الآحاد : ما ليس بمتواتر بأن رواه عدد لا يبلغ في الكثرة حد التواتر .

وحكمه أنه لا يوجب العلم اليقيني وإنما هو ظني الثبوت ، وبعضهم يجعله يوجب العلم والعمل ، ويفيد القطع والظن . لأن الحديث الصحيح يكون قطعي الثبوت وإن كان خبر آحاد ، فإذا كان خبر الآحاد صحيحاً أو حسناً فهو حجة ، وأقسام خبر الآحاد كثيرة عند الجمهور ، أهمها :

١ـ **الغريب** - الذي تفرد بروايته راوٍ واحد ، ولو في طبقة واحدة من طبقات إسناده ، سواء كان التفرد بالحديث كله جملة ومتناً ، أو كان التفرد بزيادة في المتن أو الإسناد ، ومثال الأول تفرد عمر بن الخطاب بحديث [**إنما الأعمال بالنيات**] ، والحديث الغريب قد يكون صحيحاً وقد يكون حسناً وقد يكون ضعيفاً على حسب حال الراوي المتفرد به .

ويسمى الغريب غريباً لانفراد راويه عن غيره ، كالغريب الذي شأنه الانفراد عن وطنه .

٢ـ **العزيز** : الذي تفرد بروايته راويان ، ولو في طبقة واحدة ، بحيث لا يقل عدد الرواة في كل طبقة من طبقات إسناده عن اثنين اثنين وربما يزيد ، ومن صوره حديث رواه صحابيان ، ويرويه عن الصحابي شخصان ويروي عن الشخص اثنان أو أكثر من تابعي الشخص .

فإن كان الرواة أكثر من اثنين في جميع الطبقات يسمى مشهوراً ، وقد يسمى متواتراً بحسب كثرة الرواة ، وإن كان الرواة أقل من اثنين في جميع الطبقات مما رواه واحد في كل طبقاته ، أو في بعضها ولو في طبقة واحدة ، فإنه لا يسمى عزيزاً بل يسمى غريباً .

ومثال العزيز **[لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده]** .

٣ـ **المشهور** : هو الذي رواه في كل طبقة من طبقات إسناده ثلاثة رواة وألا يقل عدد الرواة في كل طبقة عن ثلاثة ، ولم يبلغ حد التواتر ، وقد يكون حسناً أو ضعيفاً ، ومن المشهور الصحيح أيضاً ومثاله ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ **[إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء]** .. إلخ .

ومن المشهور نوع مشتهر على ألسنة الناس دون قيد أو شرط مما له من سند أو أكثر أو لا إسناد له ولا أصل ، وقد يكون من المتواتر أو الحسن أو الضعيف ، بل قد يكون من الموضوع أو المتروك .

وفي جانب ما هو مشهور عند المحدثين توجد أحاديث أخرى هي المشهور عند الفقهاء . مثل حديث : [أبغض الحلال إلى الله الطلاق] ، ومن المشهور عند الأصوليين : [رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه] . ومن المشهور بين الأدباء : [أدبني ربي فأحسن تأديبي] ، قال ابن تيمية : لا يعرف له إسناد ثابت ، وقال في اللآلئ : معناه صحيح لكن لم يأت من طريق صحيح .

ومن المشهور على ألسنة النحاة واللغويين : [أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش] ، قال في اللآلئ : معناه صحيح ، ولكن لا أصل له ، كما قال ابن كثير وغيره من الحفاظ وأورده أصحاب الغريب ، ولا يعرف له إسناد ، ومن المشهور بين العوام [السفر قطعة من العذاب] و [الحرب خدعة] و [ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن] قال بعض الحفاظ : هذا مذكور في الإسرائيليات وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ .

وقد ألف في المشهور كتب تبين الصحيح من غيره ، مثل كتاب [كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس] لـ [إسماعيل بن محمد العجلوني] (ت ١١٦٢ هـ) .

٤ـ المستفيض : ما رواه أكثر من ثلاثة في كل طبقة ، وقد يطلق بمعنى [المشهور] .

مثل حديث : [المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده] ، وحديث : [رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه] .

٥ـ الجيد : هل هو الحديث الصحيح .

ومرد الحديث عندهم صحة الرجال ، وقيل إن الجيد أنزل رتبة من الصحيح .

وعكس الجيد هو الرديء .

وقلة ضبط الراوي للحديث تجعله من الحسن لذاته أو لغيره .

ومثال الحديث الجيد : عن أسامة بن زيد – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : [من صُنع إليه معروف فقال لفاعله : جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء] ، قال أبو عيسى : هو حديث حسن جيد غريب [1] .

ومثله حديث رواه أحمد وغيره من طريق سليمان بن بلال ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في غسل يوم الجمعة . فيه عمرو بن أبي عمرو ، وهو مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب ، وهو وإن كان من رجال الشيخين ينزل عن رتبة الصحيح ، فإسناده جيد .

٦ – المرسل : هو أن يضيف التابعي إلى الرسول ﷺ حديثاً ، ولم يكن التابعي قد لقي الرسول ﷺ .

أو : ما سقط من إسناده الصحابي حتى رواه الصحابي أو روى عن رجل لم تثبت معاصرته له (إرسال ظاهر)

أو يروي عن رجل لم يسمع من الواقع عنه (إرسال خفي)

---

(1) سنن الترمذي – كتاب البر والصلة .

ومن المرسل الحديث الضعيف لفقده شرطاً من شروط الصحة (اتصال السند) .

وما أرسل الصحابه كالأحاديث المتصلة التي تقول عائشة : (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة) فهي لم تشركه في ذلك .

وإرسال التابعين يحتج به بعض الفقهاء كقوله ﷺ : [خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم] [1] .

ثم يذكر الصحابي لنسيانه أو لكثرة الصحابة الرواة للحديث .

ولم يأخذ به بعض العلماء لحذف اسم الصحابي أو الجهل به ، فيعد ضعيفاً ، واحتج الشافعي بالأحاديث التي أرسلها كبار التابعين ، إذا اعتضدت بقول صحابي أو أكثر ، وهم من كثرت روايتهم عن الصحابة كسعيد بن المسيب .

٢ـ الحسن ـ قسمان :

الحسن لذاته : هو الحديث الذي اتصل سنده بنقل العدل الضابط ضبطاً غير تام عن العدل الضابط ضبطاً غير تام - من مبدأ السند إلى منتهاه ، من غير شذوذ ولا علة قادحة ، ولا يروى من وجه آخر .

وبهذا القيد الأخير يتميز الصحيح لغيره الذي لابد أن يروى عن طريق آخر .

فهو حسن لذاته لأن رواته معروفون بالصدق ، وفي ضبطهم قصور عن ضبط رواة الصحيح .

---

(١) رواه البخاري .

ومثال الحسن لذاته ما روي عن يحيى بن سعيد ، حدثنا بهز ، حدثني أبي عن جدي ﷺ قال : قلت يا رسول الله من أبر ؟ قال : [أمك] ، قال : قلت : ثم من ؟ قال : [ثم أمك] ، قال : قلت : ثم من ؟ قال : [أمك] ، قال : قلت : ثم من ؟ قال : [ثم أباك ، ثم الأقرب فالأقرب] .

فيه بهز بن حكيم صدوق وثقه بعض العلماء ، وتكلم فيه بعضهم بما يعد أنه خفيف الضبط ، وعلى هذا نزل الحديث عن رتبة الصحيح إلى الحسن لذاته .

الحسن لغيره : أن يكون في الإسناد مستور لم تتحقق أهليته ، غير مغفل ، ولا كثير الخطأ في روايته ، ولا متهم بتعمد الكذب فيها ، ولا ينسب إلى فسق ، واعتضد بمتابع أو شاهد .

فالحسن لغيره فقد بعض شروط الصحيح من الضبط والإتقان ، ويمكن أن ينجبر ذلك برواية من وجه آخر ، أو وجوه متعددة .

ومثاله حديث أنس مرفوعا : [الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة] (1) .

في سنده زيد العمي ، ضعفه ابن المديني ، والنسائي ، وقال ابن حجر : ضعيف إلا أنه لم يتهم بالكذب .

وعن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ [حق على المسلمين أن يغتسلوا يوم الجمعة ، وليمس أحدهم من طيب أهله ، فإن لم يجد فالماء له طيب]

---

(1) الترمذي .

عن المحدث إسماعيل بن القبعي ناصب المحدث .

٢ ـ الحديث الضعيف : هو الذي لم تتوافر فيه شروط الصحة (القبول) أو شروط الحسن .

فما لم تتوافر فيه شروط الصحة كما يلي :

أ ـ فقد اتصال السند إلى رسول الله ﷺ ، ويتمثل في الحديث المرسل ـ المنقطع [1] ـ المعضل [2])

ب ـ فقد شرط عدالة الراوي ، ويترتب على ذلك أنواع من الضعيف (الموضوع ـ المتروك [3] ـ المنكر [4]) ـ الضعيف بسبب عدم تحقق المروءة ـ الضعيف بسبب كون راويه مبتدعًا ـ المجهول والمبهم حيث لم يعرف كل منهما ، ولم تثبت العدالة فيهما .

---

(1) المنقطع : مثل المرسل ، إلا أن هذا الاسم أكثر ما يطلق على رواية من دون التابعي عن الصحابي مثل سفيان الثوري عن جابر بن عبد الله . وقال بعض أهل العلم المنقطع الحديث المنقطع ما روي عن التابعي ومن دونه موقوفًا عليه من قوله أو فعله .

(2) المعضل : رواية سقط منها اثنان فصاعدًا ... [illegible] ... أو روايته عن أناس لم يسمع منهم ... [illegible] ... من الأسماء ... [illegible] ... أو ينسبه إلى غير سند المرويات من أمره .

(3) المتروك : المتروك ما انفرد بروايته من اتهم بالكذب ، أو رأى فحش الغلط ، أو الفسق ، أو الغفلة ، مثل ما يرويه صدقة بن موسى الدقيقي [illegible]

(4) المنكر : إذا خالف الضعيف في روايته رواية الثقة أو الصدوق ، ونعني من المعروف ، فرواية الضعيف ترد ، ونعده هو المنكر

ج ـ فقد شرط الضبط ، ويكون بسبب الغفلة أو كثرة النسيان أو كثرة الخطأ في الحديث ، ويسمى حديثه (المتروك) ، ويكون أيضاً بسبب الاضطراب في روايته فيسمى حديثه (المضطرب) ومن ذلك المدرج [١] .

---

(١) المدرج : هو الحديث الذي أدخل على رواية ما ليس منه ، وهو قسمان :

أ ـ مدرج المتن : وهو نادر ، ومثاله ما أخرجه عن شعبة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : [أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار] ـ [أسبغوا الوضوء] من كلام أبي هريرة ، وصله بالحديث [ويل للأعقاب من النار] . رواه البخاري في صحيحه عن آدم بن أبي إياس عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال : (أسبغوا الوضوء) فإن أبا القاسم قال : [ويل للأعقاب من النار] وهذا الإدراج لا يجوز . لكن تفسير بعض ألفاظ الحديث المدرج يجوز ، مثل حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها في حديث بدء الوحي من قولها : [وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد] ، فقوله : (وهو التعبد) مدرج من كلام الزهري في وسط الحديث ، كما قيل في فتح الباري وهذا جائز .

ب ـ مدرج الإسناد : بأن يكون الحديث عند راويه بسند إلا طرفاً منه ، فهو عنده بإسناد آخر ، فيجمع الراوي عنه طرفي الحديث بسند الطرف الأول تاركاً إسناد الطرف الآخر مثل حديث رواه أبو داود من رواية زائدة وشريك فرقهما . ورواه النسائي من حديث سفيان بن عيينة كلهم ـ أي زائدة وشريك وسفيان ـ رووه عن عاصم بن كليب عن أبيه عن وائل بن حجر في صفة صلاة رسول الله ﷺ ، وذكر أبو داود من شريك عن عاصم (ثم جئتهم فرأيتهم يرفعون أيديهم إلى صدورهم في افتتاح الصلاة وعليهم أكسية وبرانس تحرك أيديهم تحت الثياب) فقوله : (ثم جئت ، الخ ..) ليس بهذا الإسناد وهو من رواية عاصم عن عبد الجبار بن وائل عن بعض أهله عنه .

ج ـ إدراج بعض حديث في حديث آخر مخالف له في السند ، مثل ما روي عن أنس مرفوعاً : [لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تنافسوا] فمدرج [ولا تنافسوا] ـ

والمقلوب[1]، والمصحف.

السبب قد يكون الضبط القاصر في فحش الغلط والغفلة وسوء الحفظ والاختلاط والوهم ومخالفة الثقات.

5- عدم الشذوذ: شرط السلامة من الشذوذ، وذلك بمخالفة الثقة من هو أوثق منه والأرجح، ويسمى شاذاً[2].

[illegible]

[1] المقلوب: هو الحديث الذي [illegible]

[2] الشاذ: [illegible]

هـ ـ فقد شرط السلامة من العلة : فيكون الحديث معلاً علة فـــي السند أو في المتن (١).

ويتعرف هذا من الوقوف على مراتب التخريج التي صنف العلمـــاء فيها المصنفات والمؤلفات . ويؤدي ذلك إلى القلب ووضع الحديث والنقل وسرقة الحديث ورد الحديث والضعف والإنكار ، وأحيانـاً يقولـون فيه مقال أو ضعف ، أو فيه ضعف أو ليس بالقوي ، أو ليس بحجة .

والفريق الأول لا يحتج به والثاني يعتبر حديثه .

وقد صنفت كتب في الأحاديث الضعيفة والضعفاء

والحديث الضعيف قد فقد شرطاً أو أكثر من شروط الحديث الحسن لذاته أو الحسن لغيره بسبب سقط في السند أو ضعف الراوي .

ويتسبب الضعف إلى [illegible]

وعلى هذا : يكون الحديث [illegible]

[illegible]

[illegible]

النخعي عن أبي زيد المخزومي ، وأبو زيد مجهول ولا يعرف بصحبة عبد الله بن مسعود .

قيل يجوز رواية أنواع الأحاديث الضعيفة ما عدا الموضوع منها ، كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال ، والترغيب والترهيب ، ونحو ذلك مما لا تعلق له بالأحكام والعقائد من الحلال والحرام وغيرهما من الأحكام ، وممن قال بذلك أحمد بن حنبل .

وقيل : لا يعمل بالحديث الضعيف مطلقاً ، لا في الأحكام ولا في الفضائل ، وذلك رأي جماعة كيحيى بن معين والبخاري ومسلم ، والظاهر [illegible] جميعا ، وهو مذهب ابن حزم كذلك في الملل والنحل .

ومذهب أهل العلم بالحديث الضعيف مطلقاً في الأحكام وفي غيرها [illegible] ، وبعضهم يعمل بالحديث الضعيف في الحلال والحرام ، وغيرهما من الأحكام الشرعية [illegible] ، وهو مذهب الأئمة الثلاثة : أبي حنيفة ومالك وأحمد ، وجماعة من أئمة المحدثين كأبي داود والنسائي ، وقالوا : [illegible] الحديث الضعيف أحب إلينا من الرأي " .

[illegible] ابن حزم أيضا .

وإذا [illegible] في الحديث الضعيف [illegible]

[illegible]

[illegible]

الحديث الموضوع

هو الكلام المختلق المصنوع المكذوب على رسول الله ﷺ المنسوب إليه زوراً وبهتاناً .

ولم يقع الكذب من الصحابة لعدالتهم ، ولقول رسول الله ﷺ [من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار] .

أسباب الوضع :

ـ وضع أحاديث ترغيب الناس في الخيرات ، وتحذيرهم من المعاصي (من بعض من يدعون الزهد) .

ـ وضع الأحاديث في الطعن على الإسلام على يد الزنادقة ، يحرمون الحلال ويحلون الحرام .

ـ الانتصار للمذاهب السياسية ، كالخوارج والشيعة .

ـ التقرب إلى الخلفاء والأمراء ، بوضع ما يوافق هواهم

ـ الوضع من أجل التكسب والرزق ، مثل القصاص

ـ الوضع من أهل البدع وأهل الشهوة والانتصار للفقه .

علامات وضع الحديث

ـ إقرار الراوي بالوضع . ومن ذلك ما رواه الحاكم بسنده إلى أبي عمار المروزي أنه قيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة ، وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟ فقال : إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن .

واشتهروا بفقه أبي حنيفة، ومغازي ابن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة.

ـ أن يروي الراوي عن شيخ لم يثبت لقاؤه له، أو ولد بعد وفاته، أو كان في مكان لم يصل إليه.

ـ أن يصرح العلماء بأنه كذلك، مثل قول علي بن عبد الله الكرماني: "الأمناء ثلاثة أنا وجبريل ومعاوية".

ـ مخالفة الحديث للقرآن الكريم بوجه يتعذر معه الجمع أو الفسخ، كحديث [سب أصحابي ذنب لا يغفر]، فهذا معارض بقوله تعالى: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾[1]. [لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولده] فهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾[2].

ـ مخالفة الحديث لصحيح السنة مخالفة صريحة، بحيث يتعذر الجمع أو الترجيح، ولا يثبت النسخ، كحديث [إذا حدثتكم عني بحديث يوافق الحق فخذوا به، حدثت به أو لم أحدث] فهذا مخالف للحديث المتواتر [من كذب علي متعمداً .. إلخ].

ـ ركاكة ألفاظ الحديث، وبعد معناه، كحديث: [من دعا بهذه الأسماء استجاب الله له، اللهم أنت حي لا تموت وغالب لا تغلب، وبصير لا تبعد].

---

[1] النساء : 48.

[2] الأنعام : 164.

— اشتمال الحديث على أمر مستحيل، أو مخالف للحس مثل: [قيل يا رسول الله، مم ربنا؟ قال: [لا من الأرض، ولا من السماء، خلق خيلاً فأجراها فعرقت، فخلق نفسه من ذلك العرق].

— مناقضة الحديث للأصول الشرعية [الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة كحديث [خيركم بعد المائتين من لا زوجة له ولا ولد].

— مخالفة الحديث لحقائق التاريخ، كحديث وضع الجزية عن أهل خيبر.

— اشتمال الحديث على مجازفات في الوعد والوعيد مثل: [من صلى الضحى كذا وكذا ركعة أعطي ثواب سبعين نبياً].

— سماجة لفظ الحديث وكونه مما يسخر منه مثل: [لو كان الأرز رجلاً لكان حليماً، ما أكله جائع إلا أشبعه].

— تضمين الحديث لمنفعة تعود على الترويج، كوضع محمد بن الحجاج لحديث مثل: [الهريسة تشد الظهر] فقد كان صانع الهريسة وبائعها.

المحتويات

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة